سلسلة تفكيك الفكر الغربي

٤

التأثير اليهودي
على الفلسفة الفرنسية الحديثة والمعاصرة

د . سوزان إدريس

مركز براثا للدراسات والبحوث
Baratha Center for Studies and Research

التَأْثيرُ اليَهُوْدِيُّ عَلَى الفَلْسَفَةِ الفَرَنْسِيَّةِ الحَدِيْثَةِ وَالمُعَاصِرَةِ

د. سوزان إدريس

◆ رقم الطبعة: الأولى
◆ تاريخ الطبعة: ٢٠٢٦ م - ١٤٤٨هـ
◆ مكان الطبعة: بيروت - بغداد

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

سلسلة تفكيك الفكر الغربي
٤

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

التأثير اليهودي

على الفلسفة الفرنسية الحديثة والمعاصرة

د. سوزان إدريس

سلسلة تفكيك الفكر الغربي

يحتلُّ الفكرُ الغربيُّ في عالمنا المعاصر، بمختلف تجلّياته في العلوم الإنسانيّة موقعًا مُهيمنًا في تَشكيلِ التصوّرات الثقافيّة، والنُظم الاجتماعيّة، والسياسيّة. وقد أَسْهَمَ هذا الفكرُ، عبر مساراته الفلسفيّة والتاريخيّة، في تقديم أُطْروحات ومناهجَ أَثّرَتْ بعمق في كيفيّة فَهم الإنسان للعالم، من مفاهيم الحريّة والعَقْلانيّة إلى الحَدَاثَة وما بعد الحَدَاثة. ولكنَّ هذا الفكرَ، رَغْم إسهاماته، لم يخلُ من التعقيدات التناقضات، بل أَنتَجَ أزمات معرفيّةً وخُلُقيّةً واجتماعيّةً أَلْقَتْ بظلالها على الحضارة الغربيّة ذاتها والعالم بأسْره. لقد بَرَزَتْ الحاجةُ إلى قراءة نقديّة تفكيكيّة لهذا الفكر، قراءة لا تكتفي بالاحتفاء بإنجازاته بل تتعمّقُ في تحليلِ مساراته وكَشْف إخفاقاته وعثراته. فالهيمنةُ الفكريّةُ الغربيّةُ ليستْ قَدَرًا محتومًا، بل مشروعًا قابلًا للفحص والنقْد، خاصّة عندما يتعلّق الأمرُ بمفاهيمه التي تبدو أحيانًا منحازةً أو قاصرةً عن استيعاب التجارب الإنسانيّة خارج سياقها الغربيّ.

انطلاقًا من هذا الإدراك، يُطلقُ مركزُ بَراثا للدراسات والبحوث (سلْسلَة دراسات تفكيك الفكر الغربيِّ)، وهي سلسلةٌ تُعنى بوضع الفكر الغربيِّ، في أبرز أُطْروحاته ومناهجه في العلوم الإنسانيّة، تحت مِبْضَع النقد والتحليل. تسعى السلسلةُ إلى تفكيك البنَى الفلسفيّة والفكريّة التي قام عليها هذا الفكرُ، وكَشْف مواطن الإخفاق التي أَدَّت إلى أزمات قِيَميّة ومعرفيّة، سواء في الغرب نفسه أم في سياق محاولات اسْتنْساخه في مجتمعات أُخْرى.

إنَّها دعوةٌ لإعادة النَظَر في مسلّمات الفكر الغربيِّ من خلال تحليلٍ مُعمّق ونَقْد منهجيٍّ، يَكْشفُ أوْجَهَ القصور في مقاربته للإنسان والمجتمع، ويُعيد فتحَ البابِ أمام رؤى بديلة أكثر شموليّةٍ وإنسانيّةٍ

مقدمة

للفكر اليهودي أثر كبير في الفكر الغربي على مرِّ العصور، ولا سيّما في العصر الحديث والمعاصر، ويمكن تتبّع ذلك من خلال تحليل التطوُّرات الفكرية والاجتماعية والسياسية في الغرب الأوروبي، ويمكننا من القول إنَّ الفكر اليهودي كان له التأثير الأوضح والأعمق في تأسيسه، ومن هنا يأتي موضوع كتابنا هذا عن التأثير اليهودي في الفكر الفرنسي الحديث والمعاصر، وهذا ما يستدعي منَّا طرح عدَّة إشكاليَّات وتساؤلات تشكّل محور البحث الذي يضطلع بمحاولة الإجابة عنها، ومن هذه الإشكاليَّات: ماهي جذور الفكر اليهودي؟ وكيف نشأ؟ وكيف تجلَّى التأثير اليهودي على مفكري عصر التنوير؟ وما دور اليهود في نشأة الثورة الفرنسية؟ وما هدفهم من وراء ذلك؟ وكذلك يحاول البحث تتبُّع الفكر الفرنسي المعاصر وتوضيح أثر اليهودية في تفكير الفلاسفة الوجوديين، فما هو تأثير اليهود على الفلاسفة الفرنسيين الوجوديين؟ وما مدى ارتباط مصطلحات وأفكار اليهودية بالفلسفة

التفكيكية وبفكر الفلاسفة التفكيكيين الفرنسيين؟ ومن ثَمَّ ما هو تأثير الفكر اليهودي على الفلسفة البنيوية في فكر الفلاسفة البنيويين في فرنسا؟ ثمَّ يستعرض البحث الفلاسفة والمفكرين من الجيل الجديد للمفكرين اليهود، وهذا يطرح تساؤلات أخرى: ما هو تأثير الموروث اليهودي في فكر الفلاسفة الجُدد اليهود في فرنسا؟ وما مدى تأثيرهم على الحياة الفرنسية بجميع جوانبها؟ ومن ثَمَّ يتناول البحث الموضوع الأخطر والأهم عن الصهيونية، نطرح السؤال الإشكالي الآتي: ما دور فرنسا في دعم الصهيونية وإسرائيل في العصر الحديث؟ هذه الأسئلة كلّها وأضرابها يضطلع البحث بمَهمَّة الإجابة عنها وتفكيكها وتوضيحها.

الفَصْلُ الأَوَّلُ:
الحضور اليهودي

المبحث الأول:
الإطار التاريخي: الجذور والنشأة

اليهودية هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذين أرسل الله تعالى إليهم موسى عليه السلام مؤيَّدًا بالتوراة ليكون لهم نبيًّا.

ومعنى اليهودي هو الشخص المتهوِّد؛ أي الذي يدين باليهودية، أيًّا كان جنسه أو لونه أو لغته أو موطنه، محاولاً الحفاظ على شيء مشترك لديه وهو الجنس اليهودي، ولكن دراسات كثيرٍ من علماء التاريخ والجغرافيا والأجناس البشرية أثبتوا أنَّه لا يوجد ما يُسمَّى (بالجنس اليهودي) المتميِّز عن بقية الأجناس البشرية، فمن الثابت أنَّ اليهود منذ القديم اختلطوا بشعوب وسلالات وثنية، وأقاموا معهم، واتَّخذوا زوجات من تلك الشعوب، فاختلط الدم اليهودي بالأجناس الأخرى، وبالتالي لم يكن الدم اليهودي دمًا خالصًا، وإنَّما كان خليطًا.

لذلك، فإنَّ فكرة نقاوة اليهودية ليست علمية؛ فقد جرى التزاوج بين اليهود والشعوب واختلطوا بهم، وأكَّدت دراسات حديثة لعالِم

أنثربولوجي بريطاني (جيمس منتون–James Manton) عن اليهود بأنَّ ٩٥٪ من اليهود ليسوا من بني إسرائيل، وإنَّما هم أجناس متحوِّلون أو مختلطون، فالتحوُّل والاختلاط كانا من المظاهر المتفشّية قبل العصر المسيحي مباشرة وفي قرونه الأولى، فحين تشتَّت اليهود في العالم المتوسطي وجدوا أنفسهم إزاء اختيارين: إمَّا أن يرتدّوا وثنيين أو يحتفظوا بديانتهم، ففي حالة التحوُّل كان اليهود يفقدون كيانهم الجنسي إلى جانب كيانهم الديني، ويصبحون جزءًا لا يتميَّز عن الأُمَّة التي أقاموا فيها، أمَّا إذا ظلّوا على ديانتهم فإنَّ العُزلة الاجتماعية مصيرهم، وإلا لا تزاوج إلا إذا تحوَّل الوثني إلى اليهودية، وهذا ما يُفسِّر تباينهم وتنوّعهم الجنسي، ومن الأدلَّة على مدى اختلاط اليهود في العصور الحديثة والوسيطة في أوروبا ما كشفت عنه التجربة النازية في ألمانيا؛ فقد كان على المرء الذي يبغي إثبات الدم الآري فيه أن يقدِّم نسبًا يخلو لعدَّة أجيال من العناصر غير الآريّة (أي اليهودية)، لكن جرى التأكُّد من أنَّ عددًا ضخمًا من الحالات من المواطنين الألمان أجدادهم تجري في عروقهم الدماء اليهودية، وهذا يؤكِّد فكرة انصهار اليهود واندماجهم أو امتصاصهم في شعوب العالم المعاصر الحديثة، وموقف الصهيونية السياسية منها؛ فالصهيونية تحاول عبثًا أن تجعل من اليهودية العالمية شعبًا، وقوميةً، وأُمَّةً، بل جنسًا مستقلاًّ، وليس مجرَّد

طائفة دينية، فالصهيونية تعلم أنَّ الاضطهاد الذي تعرَّض له اليهود في أوروبا الوسيطة والحديثة لا يرجع إلى التعصُّب الديني وحده بقدر ما يرجع إلى طريقة حياة اليهود وانعزالهم، وطبيعة حِرَفِهم الابتزازية، ومركّب إحساسهم المتضخّم بأنفسهم وادّعاءاتهم بالتفوُّق الموهوم[1].

لذلك، لا يمكن أن نعتبر أنَّ اليهود الآن أعضاءً في مجموعة بشرية متّحدة العنصر، ولا حتى يهود فلسطين التي جلبت إليها الحركات الصهيونية إسرائيليين دون أي انتقاء، فاليهود ينتمون إلى طائفة دينية واجتماعية انضمَّت إليها في جميع العصور أخلاط من أجناس مختلفة، وقد يكونون قد جاؤوا من كلّ الآفاق التي يعيش فيها البشر، ويمكن الحديث عن المصادر التي يعتمد عليها اليهود في فكرهم.

المبحث الثاني:
المصادر المقدّسة للفكر اليهودي

يعتمد التراث المقدَّس في حياة اليهود على (العهد القديم) و(التلمود)، وهما مصدران مقدَّسان للفكر اليهودي يعتمد عليهما اليهود في العقائد والأخلاق.

---

١ - جمال حمدان: «اليهود أنثربولوجيًا»، ص١٦٠- ١٧٥.

أما (بروتوكولات حكماء صهيون)، فلا يعترف بها اليهود على أنَّها من المصادر المقدَّسة، بالرغم من أنَّها نتاج اليهود[١].

أولًا: العهد القديم

يعدّ العهد القديم المصدر الأوَّل للتشريع عند اليهود؛ حيث اعتمد اليهود على ٣٩ سِفرًا اعتبروها أسفارًا مقدَّسة، أُطلِقَ عليها اسم (العهد القديم) للتمييز بينها وبين ما اعتمده المسيح عليه السلام في أسفاره التي أسموها (العهد الجديد)، ومعنى العهد هو الميثاق (ميثاق أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه، وتمثّل بالنسبة إليهم ميثاقًا قديمًا من عهد موسى عليه السلام. وتعدّ التوراة جزءًا من العهد القديم، وتعني الشريعة أو التعاليم الدينية، وهي مقدَّسة، ولكن أسفارها غير متَّفق عليها، فبعض الأحبار يضيفون أسفارًا لا يقبلها الأحبار الآخرون.

ويقسّم اليهود العهد القديم إلى ثلاثة أقسام، هي:

١. **الناموس:** وهو أسفار موسى الخمسة (البانتاتيك) وتشمل: سِفر التكوين، وسِفر الخروج، وسِفر اللاويين أو الأحبار،

---

١ - إسماعيل علي محمد: «الجذور الفكرية لانحراف الشخصية اليهودية»، ص٣٠.

وسِفر العدد والتثنية. يشمل سِفر التكوين تاريخ العالم من تكوين السماوات والأرض إلى استقرار أولاد يعقوب عليه السلام في أرض مصر، مع تفصيل في قصص آدم عليه السلام وحواء، ونوح عليه السلام والطوفان، ونسل سام، وخاصّة إبراهيم عليه السلام، وإسحق عليه السلام، ويعقوب عليه السلام، ويوسف عليه السلام والأسباط. أمَّا سِفر الخروج، فيعرض تاريخ بني إسرائيل في مصر وقصة موسى عليه السلام ورسالته وخروجه مع بني إسرائيل، كما يشمل طائفةً من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات. أمَّا سِفر التثنية فقد شُغِلَ معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب، والسياسة، وشؤون الاقتصاد، والمعاملات، وسُمّي بهذا الاسم؛ لأنَّه يعيد ذكر التعاليم التي تلقّاها موسى عليه السلام من ربِّه، وأمر بتبليغها إلى بني إسرائيل. أمَّا سِفر اللاويين فقد اهتمَّ بشؤون العبادات من قرابين وأضاحي ومحرَّمات، واللاويون هم نسل (لاوي) أو (ليفي) أحد أبناء يعقوب عليه السلام، ومنهم موسى عليه السلام وهارون عليه السلام، وكان اللاويون سدنة الهيكل والمشرفون على شؤون المذبح والأضحية والقرابين، والقوّامون على الشريعة اليهودية. أمَّا سِفر العدد فقد اهتمَّ بإحصائيات عن قبائل بني إسرائيل، وجيوشهم،

وأموالهم، وجميع ما يمكن إحصاؤه من شؤونهم[١].

٢. **الأنبياء:** هم الأنبياء الأوَّلون؛ أي (يشوع)، والقضاة، و(صموئيل الثاني)، والملوك، والمتأخِّرون. ويقسِّمون إلى الأنبياء الكبار، وهم: (أشعياء)، و(أرمياء)، و(حزقيال). والأنبياء الصغار، وهم: (هوشع)، و(يوئيل)، و(عاموس)، و(عوبديا)، و(يونان)، و(ميجا)، و(ناحوم)، و(حبقوق)، و(صفنيا)، و(حجي)، و(زكريا)، و(ملاخي).

٣. **الكتب:** وهي المزامير، والأمثال، ونشيد الإنشاد، وراعوث، والمراثي، والجامعة، وأستير، و(دانيال)، و(نحميا)، و(عزرا)، وأخبار الأيام.

ويُرجّح أنَّ هذه الأسفار رُتّبت هكذا حسب زمن النصارى البروتستانت. أمَّا الكاثوليك، فيجعلون المجموع ٤٦ سِفرًا، مضيفين سبعة أسفار، وهي: طوبيا، ويهوديت، والمكابون، وسوسنة، والحكمة، وحكمة (يشوع بن شيراخ).

ويقسّمون العهد القديم على النحو الآتي:

١. **الأسفار التشريعية:** وهي أسفار موسى الخمسة: التكوين،

---

١ - علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان: ص١٤- ١٥.

والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية. وقد تضمَّنت الأحكام الأساس للشريعة اليهودية، وكل سِفرٍ منها يعالج موضوعًا أو موضوعات رئيسة.

٢. **الأسفار التاريخية:** وهي اثنا عشر سِفرًا تعرض تاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين وبعد استقرارهم في فلسطين، وتفصّل تاريخ قضائهم، وملوكهم، وأيامهم، والحوادث البارزة في شؤونهم، وهي أسفار (يوشع)، والقضاة، و(راعوث)، و(صموئيل)، ويُسمَّى أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية، وهي أناشيد مواعظ معظمها ديني، مؤلَّفة بأسلوب شعري بليغ، وتتضمَّن فصولاً من تاريخ اليهود منذ استيلائهم على أرض كنعان بقيادة (يوشع بن نون) إلى عهد المكابيين.

٣. **الأسفار الشعرية (أسفار الأناشيد):** تتضمَّن قصصًا، وتراتيل، وابتهالات، وأمثالاً، وأناشيد، ومراثي منظومة كلّها بأسلوب شعري بليغ، وعددها خمسة أسفار؛ وهي سفر أيوب عليه السلام، ومزامير داود عليه السلام، وأمثال سليمان عليه السلام، ونشيد الأنشاد، ومراثي (أرميا).

٤. **الأسفار النبوية:** عددها سبعة عشر سفرًا، تتضمَّن كلها نبوءات أنبياء اليهود عن الحوادث المستقبلية التي ستحلّ

ببلاد اليهود وبلاد العالم كلّه، كما تتضمَّن عبارات التوبيخ لليهود على ما ارتكبوه طوال تاريخهم من شرور وآثام، ومن تمرّد على الله، وعصيان لأحكامه ووصاياه.

٥. **الأسفار التعليمية:** تتضمَّن مجموعة من المواعظ وآداب السلوك، قريبة من موضوعها من سِفرَي الأمثال والجامعة، وإن كانت تختلف في أسلوبها وصياغتها، وهي تنحصر في سفرين من أسفار الأبوكريفا (أي الأسفار الخفية، وهما: الحكمة، وحكمة يشوع بن شيراخ).

وإلى جانب الأسفار التي يتألَّف منها العهد القديم في نظر اليهود، توجد أسفار يهودية قديمة أخرى لم يُدخلها اليهود في أسفار هذا العهد، ويطلقون عليها اسم الأسفار الخفية، وبعض الأسفار الخفية غير مقدّسة وغير معتَمَدة في نظر اليهود، بينما بعضها الآخر مقدّس، أي نعترف بأنَّه موحى به، ومعتَمَد في نظرهم، ولكن رأي أحبارهم وجوب إخفائه، وقرَّروا أنَّه لا يجوز أن يقف عليه الجمهور، ولا أن يُدرَج في أسفار العهد القديم، ومن هذا يظهر أن السِّفر قد يكون خفيًّا ومقدَّسًا بآن واحد عند اليهود[١].

١ - إسماعيل علي محمد: الجذور الفكرية لانحراف الشخصية اليهودية، ص٣٤- ٣٧.

وقد كُتِبت أسفار العهد القديم على مدى يربو على تسعة قرون، وبلغات مختلفة، واعتمادًا على التراث المنقول

شفويًّا، وقد صُحِّحَت وأُكمِلَت أكثرية هذه الأسفار بسبب أحداث حدثت، أو بسبب ضرورات خاصة، وفي عصور متباعدة أحيانًا، كما أنَّ كُتب العهد لم تتَّخذ هيئتها الأولى إلا قبل قرون من ميلاد المسيح(ع)، ولم تكتسب شكلها النهائي إلا في القرن الأول بعد المسيح(ع)، ولقد دوّن العهد القديم باللغة العبرية، ومنها جرت ترجمات كثيرة إلى اللغات المختلفة.

ثانيًا: التلمود

لا يقلّ التلمود أهمية عن المصدر الأول، بل إنّه أهم بالنسبة إلى اليهود في العهد القديم، وتعني التعاليم: الذي يفسّر ويبسّط معارف الشعب اليهودي وتعاليمه كلّها، يتألّف من بحوث أحبار اليهود وربَّانييهم وفقهائهم المنتمين إلى فرقة الفريسيين، أشهر فرق اليهود في شؤون العقيدة والتاريخ المقدَّس، ويقسم إلى جزأين أساسين:

١. المنشأ (المشناه، المتن).

٢. جِمارا، شرح مشناه (وتعني كلمة مشناه بالعبرية المعرفة، أو القانون الثاني، وتعني المثنى أو المكرر أي تسجيل وتكرار

للشريعة)، وهو أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة، وقد جرى تأليف المشناه باللغة العبرية التي تُسمَّى باللغة الربانية، عندما انقرضت اللغة العبرية من لغة التخاطب لدى بني إسرائيل حلَّت محلّها في ألسنتهم اللغة الآرامية، واقتصر استخدام العبرية لديهم على ميادين الكتابة وخاصة في شؤون الدين، أما (جِمار، بكسر الجيم) فمعناها الإكمال أو الشرح أو التعليق، وهي تمثّل شروح المشناه، وجرى تأليفها باللغة الآرامية، وهما اثنان: جمارا: أورشليم القدس، وجمارا: مدرسة يهود بابل[1].

وللتلمود مكانة مُهمَّة عند اليهود إلى درجة أنَّ بعض اليهود لا يقرأون التوراة، بل يأخذون معلوماتهم الدينية من التلمود.

ويرى التلموديون أنَّ التوراة كتاب مغلق، لا يمكن تطبيقه دون الاستعانة بالشريعة الشفوية (التلمود)، بل إنّ كثيراً من فرائضها يصعب فهمها وإدراكها، فيأتي دور التلمود في إزالة الغموض وتفسير المبهم، مكمّلاً بذلك عمل التوراة، ويضع التلموديون عدّة أدلّة على أهميتها،

١- علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص٢٢-٢٤.

منها: أنّه لما دفع الله التوراة إلى موسى عليه السلام في سيناء، عرّفه تفاسيرها ومعانيها، وقد لقّن موسى عليه السلام ذلك لبني إسرائيل وحكمائهم، وشرح لهم معاني التوراة، والذي شرحه إنما يمثّل التلمود برأيهم[١].

إذن، هذان هما المصدران المقدَّسان للفكر اليهودي، ومنهما يستقي اليهود أحكام دينهم العقيدية والتشريعية والخُلُقية.

ويرى (غوستاف لوبون–Gustave Le Bon) أنَّ الشريعة اليهودية ليست إلا وجهًا بسيطًا للنظام الكلداني، وأنَّ معتقدات اليهود هي من أساطير البابليين المعقَّدة، وقد تطوَّرت هذه العقائد في الغرب بحيث ابتعدت عن أصولها، وأخذت شكلاً لا يمتّ إلى اليهودية بِصِلَة، ويبحث (لوبون) في وقائع اليهود فيجدها ضئيلة هزيلة تتصف بالمشاغبات والتوحّش والمنكرات. ويمكن القول إنَّ هذه المصادر وأسفارهم من صنع أيديهم، وكل سِفر منها يعكس التقاليد والنظم التي كانوا يسيرون عليها في العصر الذي أُلِّفَ فيه، ويمكن ملاحظة أنَّ بعض شرائح العهد القديم تحمل في طيَّاتها دليلاً على اضطراب الحقائق في أذهان مُحرِّريها، واختلاطها ببعضها[٢].

١- جعفر هادي حسن: تاريخ اليهود القرّائين منذ ظهورهم حتى العصر الحاضر، ص٥٧- ٥٨

٢- علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص٣٣- ٣٥.

ولم يكن لليهود فنون، ولا علوم، ولا صناعة، ولا شيء تقوم عليه الحضارة، فاليهود لم يأتوا قط بأي مساعدة مهما صغرت في المعارف البشرية، فقد كانوا في غاية من العجز عن أن يقيموا مدنهم ومعابدهم، لذلك استعانوا بالخارج، وبعد أن جمع اليهود الثروات وفق غرائزهم التجارية القوية لم يجدوا بينهم بنّائين قادرين على تشييد مبانٍ وقصور، فاقتصرت معرفتهم على التجارة خاصة.

ولا يجد القارئ في كتابات اليهود إلا الذبح، والعهارة، والبقاء، والقتل بلا رحمة، وما شابه من أنباء ذلك المتوحِّش، وإذا كانت البشرية لا تزال سائدة وراء الأوهام، وجب علينا الاعتراف بأنَّه خرج من صدر اليهود وهم شديد؛ حيث خضع العرب لسلطانه نحو ألفي عام؛ حيث كان بنو إسرائيل أقلّ من أُمّة حتى زمن (شاؤول)، فكانوا أخلاطًا من عصابات جامحة، وكانوا مجموعات غير منسجمة من قبائل سامية صغيرة تقوم حياتها على الغزو والفتح والجدب وانتهاب القرى الصغيرة حتى تقضي عيشًا رغيدًا دفعة واحدة في بضعة أيام[1].

إنَّ مفهوم الإثنية اليهودية (وهو مفهوم صهيوني بالأساس) يستند إلى افتراض وجود ثقافة يهودية مستقلّة، بل إنَّ الصهاينة أسقطوا المفهوم

١- غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص١٨- ٢٤.

العرقي لليهودية، ويؤكِّدون بدلاً من ذلك البُعد الثقافي (الإثني) لهذه الهُويّة، ويمكن الحديث عن وجود تشكيلين حضاريين يهوديين يتمتَّعان بقدرة محدودة من الاستقلال عن باقي التشكيلات الحضارية، أوّلهما هو وجود الثقافة العبرية القديمة التي تتمتَّع باستقلال نسبي داخل التشكيل الحضاري السامي في الشرق الأدنى القديم، وهذا بسبب ضعف الدولة العبرانية حينها، وما تعانيه من تبعية سياسية ودينية للإمبراطوريات الكبرى، مضافًا إلى الثقافة الإسرائيلية (العبرية الحديثة) المستقلَّة عن التشكيل الحضاري العربي، وبهذا فإنَّه يمكن القول بعدم وجود ثقافة يهودية مستقلة عالمية، تعبر عن وجدان أعضاء الجماعات اليهودية، إنَّما توجد ثقافات يهودية مختلفة تختلف باختلاف التشكيل الحضاري الذي يوحّد أعضاء الجماعات اليهودية داخله، لذلك نجد أنّ كل ما ينجزه اليهود، سواء أكان في النواحي الفلسفية أو العلمية والفنية، مستقى من ثقافة الشعوب الأخرى وحضاراتها التي يعتمدون عليها، ومنه يمكن القول إنَّ ما تروّج له الصورة العامَّة في إسرائيل الآن لما يُسمَّى (أسطورة الثقافة اليهودية)، إنَّما هو مجموعة ادِّعاءات وأكاذيب عقدية صهيونية، تثبت كذب الادِّعاء بوجود ثقافة يهودية مستقلَّة ومثقفين يهود خالصين، وبالمقابل يمكن القول بوجود عناصر يهودية، استقت أفكارها من النماذج التفسيرية المشتقَّة من الحضارات

التي ينتمي إليها المُفكِّر اليهودي (بينما الصهيوني يعود إلى التوراة والتلمود أكثر)[1].

إنَّ الشتات الذي عاشه أعضاء الجماعات اليهودية والإحساس بالغربة وعدم الأمان جعلهم أكثر قدرة على تقبّل الحضارة الغربية الحديثة، لذلك يتّسم موقف المثقَّفين اليهود بالشكّ المعرفي والخُلُقي وسيطرة الفلسفات العدمية، وهو ما يؤكِّد عدم وجود تراث يهودي مستقلّ أو منفصل عن المحيط الحضاري الذي يعيشون فيه.

المبحث الثالث:
تاريخ اليهود في فرنسا

يبلغ مجموع اليهود في فرنسا، حسب المجلس اليهودي العالمي في عام ٢٠٠٦م، ما يقارب ٦٠٠٠٠٠ نسمة، كان لهم تأثير واضح وفعَّال في تيسير الاقتصاد الفرنسي، ولهم ظهور مميَّز في السياسة الفرنسية، ويتواجد معظمهم في (باريس- ستراسبورج- مرسيليا)، ويرجع تاريخ اليهود في فرنسا إلى ما يقارب ألفي عام؛ حيث كانت بلاد الغال (كما

١- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٣، ص٢٠١- ٢٠٥.

كان يُطلق عليها) مركزًا للتعاليم اليهودية؛ حيث انتشرت المسيحية هناك وأصبحت الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية؛ حيث خضعت الجماعة اليهودية في بلاد الغال لأفعال قمع واضطهاد امتدَّت طوال القرون الوسطى. وعلى الرغم من ذلك، لم يختفِ الوجود اليهودي في فرنسا، ومع قيام الثورة الفرنسية وما أعقبها من تطوُّر في الفكر الغربي حصلت الجماعة اليهودية في فرنسا على حقوق لم تكن ممنوحة لها من قبل، وأُتيح لها الاندماج في المجتمع الفرنسي، إلى أن حصلت على جميع حقوقها في منتصف القرن ١٨، ولقد استقبلت فرنسا عددًا كبيرًا من المهاجرين اليهود من دول شمال إفريقيا، حتى غدت ثاني دولة في العالم تضم تعدادًا يهوديًا خارج إسرائيل؛ حيث لم يهاجر من فرنسا إلى إسرائيل إلا نسبة قليلة، وكانت الجماعات اليهودية ذات تأثير واضح على الاقتصاد الفرنسي وموجودة داخل أروقة السياسة إلى حدّ الذوبان داخل المجتمع الفرنسي[١].

ويعود وجود اليهود في بلاد الغال (وهي المنطقة التي كانت تضم معظم أراضي غرب أوروبا خلال العصر الروماني) إلى الجنود اليهود المُرتزِقة الذين جاؤوا مع الزحف الروماني؛ حيث استطاعوا، على

١ - موسوعة تاريخ اليهود في دول غرب أوروبا، ج١، ص١٧.

ما يبدو، بعد استقرارهم هناك باستقطاب بعض مواطني بلاد الغال للدخول في الديانة اليهودية، وقد حصلت الجماعة اليهودية على حقّ المواطنة الكاملة بموجب مرسوم الإمبراطور الروماني (كاراكالا- Caracalla) عام ٢١٢م، وحصلوا على الحقوق نفسها التي حصلت عليها باقي الجماعات اليهودية في أنحاء الإمبراطورية الرومانية، ولكن مع انتشار المسيحية في أنحاء الإمبراطورية الرومانية صدرت مراسيم تمنع اليهود من تقلّد الوظائف العامّة والسياسية، فامتهنوا المهن والحِرَف والتجارة[1].

وكانت الجماعة اليهودية في فرنسا تقيم في أماكن وجود الإدارة الرومانية، حيث مراكز التجارة والمال، وأنشأت معابد يهودية، فقد كان معظم اليهود من تجَّار العبيد وتجَّار البضائع، وامتهن بعضهم الطب والزراعة والتجارة، ولم يتغيَّر وضع الجماعة اليهودية في بداية حكم الميروفيجيين (Merovingians)؛ حيث خضعت للقوانين نفسها التي كانت تحكم أوضاعها في العهد الروماني المسيحي، وبدأت بوادر ظهور معاداة اليهودية في فرنسا ولا سيِّما على إثر قيام كثير من اليهود الذين اعتنقوا الكاثوليكية بإثارة روح الكراهية والتحذير من الهرطقة

١ - موسوعة تاريخ اليهود في دول غرب أوروبا، ج١، ص١٧- ١٨

اليهودية، وكان من نتائج ذلك هدم الكنيس اليهودي بباريس وتشييد كنيسة كاثوليكية، وما تبعها من قرارات بطرد اليهود، وفي عهد الأسرة الكارولنجية (Carolingian Dynasty) تحسَّن وضع اليهود الاقتصادي بوصفهم وسطاء تجاريين بين الشرق والغرب، وهو ما ساعد في تنمية التجارة، الأمر الذي زاد من عدد اليهود[١].

ولكن مع قدوم كلّ ملك جديد إلى فرنسا يتغيّر وضع اليهود، ويتأرجح ما بين الاضطهاد والترحيل والقمع، وبين عودة نفوذهم واستقرارهم. وقبل الثورة الفرنسية سمحت السلطات المحلية في فرنسا بوجود اليهود ومجموعات من الأشكناز واستيطانهم في المدينة، وفي عام ١٦١٤م سمح لليهود بإنشاء جيتو يهودي في كل مدينة (يتكوّن من ٥٨ منزلاً)، ثمَّ ضمَّت فرنسا مقاطعة الألزاس التي كانت تضمّ طوائف يهودية أشكنازية منذ القرن السادس عشر، وقبل اندلاع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م كان تعداد اليهود الأشكناز يقارب (٣٠ ألفًا)، مضافًا إلى الطوائف اليهودية السفاردية في مدن جنوب فرنسا؛ حيث أنشأوا مجتمعات جديدة في مدن الألزاس واللورين، وكانوا متمسِّكين بحياة الجيتو وبالثقافة اليهودية اليديشية (وهي خليط لغوي بين الألمانية واليهودية). وقد امتهنوا المهن الوضيعة واعتنقوا

١ - موسوعة تاريخ اليهود في دول غرب أوروبا، ج١، ص٢٢

الأفكار اليهودية المتشدِّدة فكانت حياتهم منغلقة ومنعزلة[١].

يتبيَّن من ذلك كيف تعرّض الوجود اليهودي في فرنسا لتقلّبات كثيرة بين رفض وقمع وتأكيد وجود، نتج عنها زيادة عدد اليهود وامتيازاتهم في فرنسا.

أولًا: تاريخ الجماعات اليهودية في فرنسا منذ الثورة الفرنسية

خلال القرن الثامن عشر انتشرت الأفكار التحرُّرية في فرنسا نتيجة حركة التنوير التي قادها الفلاسفة والمُفكِّرون الليبراليون، فكان تأثيرها واضحًا على الوضع الاجتماعي والقانوني للجماعة اليهودية في فرنسا، ومن المُفكِّرين الفرنسيين الذين حاولوا إيجاد وسيلة ملائمة لجعل اليهود في فرنسا أكثر نفعًا، هو (الكونت دي ميرابو-Comte de Mirabeau) الذي تقابل مع الفيلسوف اليهودي (موسى مندلسون-Moses Mendelssohn)[٢] في ألمانيا الذي طالب بمنح اليهود الحقوق

---

١ - موسوعة تاريخ اليهود في دول غرب أوروبا، ج١، ص ٦٢

٢ - موسى مندلسون (١٧٢٩- ١٧٨٦م)، وُلد بمدينة دساو بألمانيا وهو قائد حركة التنوير الهسكالا، تأثر بأفكار موسى بن ميمون، تعلم اللاتينية **والرياضيات** والمنطق وعشق الفلسفة، كان فكره علماني سعى إلى فصل الكنيسة عن الدولة، انتقد اليهود المحافظين (الأرثوذكس) وهاجم المسيحيين الأرثوذكس، وكان ملتزمًا بالدين اليهودي.

المدنية الكاملة في فرنسا. وعند قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م. وبعد صدور إعلان حقوق الإنسان والمواطن الصادر عن الجمعية الوطنية الفرنسية، جرت مناقشة حقّ اليهود في الحصول على حقّ المواطنة الفرنسية، وجرى إقرار حقوق المواطنة لجميع الطوائف اليهودية في فرنسا، حيث أصبح اليهودي الفرنسي يخضع للقوانين كبقية الفرنسيين، فشاركوا في الاتجاه العَلماني الذي كان يدعو إلى فصل الدين عن الدولة، ورفعوا شعار الثورة الفرنسية (الحرية، والإخاء، والمساواة). وعند عودة (نابليون بونابرت–Napoleon Bonaparte) من مصر وإعلانه قنصل فرنسا، أصدر مشروع دمج اليهود في المجتمع الفرنسي، وبعدها جرى إقامة نظام من المجالس الكنسية التي تهتمّ برعاية معابد اليهود والمؤسَّسات الدينية وتنفيذ قوانين التجنيد، وتشجيع اليهود على تغيير المهن التي يشتغلون بها، وبه أصبحت اليهودية الديانة الثالثة في فرنسا بعد الكاثوليكية والبروتستانتية، وأصبح الحاخامات موظَّفين لدى وزارة الأديان، ما أخضع المؤسَّسات اليهودية لإشراف الحكومة، ما سمح لهم في ممارسة التجارة مع إلغاء القيود كافّة التي كانت مفروضة عليهم[١].

١ - موسوعة تاريخ اليهود في دول غرب أوروبا، ج١، ص٧٤- ٧٦

ونتيجة لوضع الكنيسة ووقوفها ضدّ مطالب الناس، دبّر اليهود مكائد لاستغلال الثورة الفرنسية التي وصلت إليها الشعوب الأوروبية، ولا سيّما الشعب الفرنسي، فأعدُّوا الخطط اللازمة لإقامة الثورة الفرنسية الرامية إلى تغيير الأوضاع السائدة، ومنها عزل النصراني المحرّف الذي حارب الذي حارب العلم وحصره داخل الكنيسة فقط، فقامت الثورة الفرنسية التي استطاع اليهود جني ثمرات عملهم منها على حساب آلام الشعوب، والدماء التي أُهرِقَت من جرّائها، واستطاعوا البقاء في الخفاء بعيدًا عن الأضواء، مزوِّرين كثيراً من الحقائق التاريخية، بهدف التستّر على مكائدهم وغاياتهم، وبهدف السيطرة على البنوك والمصارف، فكانت الثورة الفرنسية من صنع اليهود وتدبيرهم[1].

واستمرّ اندماج اليهود في المجتمع الفرنسي، وتخلّصوا من الموروث الثقافي الذي عزلهم عن المجتمعات التي عاشوا فيها، وامتهنوا جميع المِهن، وظهروا في المجتمع الفرنسي بوصفهم أحد الأنسجة الفعَّالة، الأمر الذي أوقف أي ذريعة للمناهضين لليهود (معاداة السامية)، لتقليص الحقوق التي مُنِحت لهم، وحرص الحاخامات وزعماء

١ - حمود الرحيلي: «العلمانية وموقف الإسلام منها»، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

الطوائف اليهودية على تشجيع اليهود على ترك المِهن الوضيعة والدخول في تلك العلوم الحديثة، وكان شعارهم الإصرار على وطنهم الجديد فرنسا، وفي عام ١٨٣١م سقطت آخر النصوص القانونية التمييزية ضدّ اليهود؛ حيث صادق البرلمان الفرنسي الموافقة على القانون الذي جعل الدعم المالي للمؤسَّسات الدينية اليهودية ورواتب الحاخامات من الخزانة العامّة، مثلها مثل المؤسَّسات البروتستانتية والكاثوليكية، ولقد حقَّقت الجماعة اليهودية حراكًا على جميع المستويات، وبرز عددٌ منهم في جميع مجالات الحياة (في الاقتصاد، والتجارة، والمال، والحكم، والجيش، والإدارة، والقضاء، والأدب، والفنون). وامتزجت الطوائف اليهودية في النسيج الاجتماعي للمجتمع الفرنسي، واكتسبت الثقافة الفرنسية، وتلاشت ثقافتها القديمة (اللادينو- اليديشية)، ورغم هذا الاندماج لم تفقد تلك الطوائف هُويّتها اليهودية، واتّحدت في كيان واحد دفاعًا عن المكاسب التي تحقّقت. وأثناء موجة معاداة اليهودية التي اندلعت عقب أحداث تهمة الدم التي أُلصِقَت باليهود في دمشق عام ١٨٤٠م (جرَّاء قتل قس الفرنسيسكان وخادمه السوري لاستخدام دمائهما في عمل فطيرة عيد الفصح، كما ادّعت المصادر المسيحية)، ظهرت شخصية (جيمس جاكوب دي روتشيلد–James Jacob de Rothschild) بوصفه زعيمًا يهوديًّا دافع عن اليهود في

فرنسا، وكان له دور كبير في تبرئة اليهود في دمشق، كما كان له دور كبير في دعم جمعيات تعمل على تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين من خلال جمعية (أحباء صهيون)[1].

كما برزت شخصية (أدولف كريمييه-Adolphe Crémieux)، النائب اليهودي في البرلمان الفرنسي الذي كان من أبرز الشخصيات اليهودية في فرنسا، بل والجماعات اليهودية في جميع أنحاء العالم، من خلال ترويجه لفكرة إقامة وطن لليهود في فلسطين، ودعوته الحكومة الفرنسية إلى استغلال اليهود لخدمة مصالح فرنسا في المنطقة، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهرت حركة استيطانية منظَّمة يدعمها عدد من أثرياء اليهود في أوروبا من خلال تقديم ما تحتاجه الجماعات اليهودية من مساعدة لتحقيق غايتها، فضلاً عن وضع خطط رئيسة للاستيطان اليهودي التدريجي في فلسطين تمهيدًا لإقامة الوطن القومي اليهودي فيها. ولم تغفل فرنسا أهمية اليهود في العالم، لذلك تبنّت عملية الهجرة إلى فلسطين، ووفَّرت كل ما تستطيعه من قدرات وإمكانيات، لعلمها بأنَّ التطوُّر الهائل لليهود سوف يؤدّي إلى سيطرتهم

---

١ - حمود الرحيلي: «العلمانية وموقف الإسلام منها»، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

على الحياة الاقتصادية داخل فرنسا، لذلك أصبحت ضرورة التخلُّص من اليهود وتهجيرهم إلى فلسطين ضرورة ملحة[١].

هذه الشخصيات اليهودية الفرنسية كان لها تأثير واضح على المجتمع الفرنسي في كل المجالات، الأمر الذي أثار حفيظة الرجعيين المحافظين في فرنسا الذين فشلوا في استعادة النظام الملكي، فقاموا منذ نهاية ثمانينيات القرن التاسع عشر بحملة عدائية ضد اليهود، واتهموهم بخراب البلاد، وروّجوا لفكرة المؤامرة اليهودية على العالم المسيحي، وانتشرت الصحافة الفرنسية العدائية لليهود في فرنسا، كما واجه الضبَّاط اليهود في الجيش الفرنسي حملة عدائية شرسة بلغت ذروتها مع اتهام (ألفريد دريفوس–Alfred Dreyfus) بتهمة الخيانة والتجسُّس لمصلحة الإمبراطورية الألمانية، وهو المولود في مقاطعة الألزاس من أسرة يهودية، التحق بالكُلِّية الحربية، وكان الضابط اليهودي الوحيد فيها. وفي عام ١٨٩٤م توصَّل قسم الاستخبارات العسكرية في الجيش الفرنسي إلى وجود مراسلات بين أحد الضباط الفرنسيين والألمان بشأن المعلومات الجديدة عن التسليح في سلاح المدفعية بالجيش الفرنسي، واستنتجت

---

١ - أحمد حسين عبد الجبوري: سياسة فرنسا تجاه يهود فلسطين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر: دراسة توثيقية، ص٤-٦.

أنَّه من هيئة الأركان العامَّة، ولكونه الضابط اليهودي الوحيد المنحدر من أصول ألزاسية فقد حامت حوله الشبهات، واعتُقِلَ وقُدِّمَ لمحاكمة عسكرية، وجرى تقديم الأدلَّة ضدّه، وإدانته بتهمة الخيانة، وجرّدته من رتبته العسكرية، وحُكِمَ عليه بالسجن المؤبَّد في جزيرة الشيطان (قرابة سواحل أمريكا الجنوبية). وقد استخدمت الصحف المعادية لليهودية تلك الحادثة لإثارة روح الكراهية ضدّ اليهود، والترويج لفكرة المؤامرة اليهودية، ولذلك تكاتف أعضاء الجماعة اليهودية في فرنسا لإثبات براءة (دريفوس)، إلى أن جرى تعيين رئيس جديد للاستخبارات العسكرية الفرنسية (جورج بيكار–Georges Picquart) الذي قدّم تقريرًا لهيئة أركان الجيش بأنَّ المتورِّط بعملية التسريب لم يكن (دريفوس)، إنما الرائد (فرديناند والسن-إسترهازي–Ferdinand Walsin-Esterházy)، وطالب بإعادة المحاكمة، لكن القيادة العسكرية في الجيش رفضت ذلك، فاستخدم اليهود كل ما لديهم من قوى في فرنسا لإنقاذ (دريفوس) وإعادة محاكمته، وبالمقابل حشد أنصار اللا سامية وأنصار الكنيسة الكاثوليكية كل جهدهم لمنع إعادة المحاكمة، والقول بوجود مؤامرة يهودية لمصلحة الإمبراطورية الألمانية، ولقد ترافقت تلك الأحداث مع فضيحة (قناة بَنَمَا) التي كان اثنان من اليهود (جاك دي ريناش–Jacques de Reinach) و(كورنيليوس هرتس–Cornelius Herz) على

رأس المهتمِّين بدفع الرشوة لمجلس النواب وبعض أعضاء الحكومة، فتنامى شعور العداء لليهود، وظنَّ كثير من الفرنسيين في صدق المؤامرة اليهودية، خاصَّة مع انتشار نشاط الحركة الماسونية في كثير من الدول الأوروبية (وتعني الماسونية بالإنكليزية: البنّاؤون الأحرار، وهي عبارة عن منظَّمة أخويّة عالمية يتشارك أفرادها عقائد وأفكارًا واحدة في ما يخصّ الأخلاق، والميتافيزيقا، وتفسير الكون، والحياة، والإيمان بخالق إلهي، اتَّصفت المنظَّمة بالسريّة والغموض، الأمر الذي جعلها محطّ الشائعات والأخبار، بسبب سعة انتشارها، وتمكّنها من الوصول إلى معظم الحكومات العالمية القوية، وتُتّهم بأنَّها من محاربي الفكر الديني، وناشري الفكر العَلماني، مرورًا بنشرها التعاليم الشيطانية، والتمهيد لظهور المسيح الدجّال، والقضاء على الأديان بطرق سرِّيَّة وخبيثة تعتمد التضليل والخداع، وتعتمد على عدَّة رموز، منها الفرجار والكوس، وداخلهما نجمة أو قمر أو الشمس (التي تمثّل الحقيقة والمعرفة) والعين، ويستخدمون مثلثات بين تلك الرموز). وجرى الربط في نهاية القرن التاسع عشر بين الحركة الماسونية واليهود ومؤامراتهم بامتلاك العالم[1].

١ - موسوعة تاريخ اليهود في دول غرب أوروبا، ج١، ص٩٢- ٩٦.

ولقد تبنّت الحكومة الفرنسية فكرة استرجاع اليهود إلى فلسطين من خلال تنشيط الباعث الديني لديهم، وكانت خطَّتها تقوم على تحقيق أمرين، هما: إخراج اليهود من فرنسا بكل الوسائل الممكنة؛ لأنَّه بخروج اليهود من فرنسا سيخرج رأس المال الفرنسي من أيدي هؤلاء، وكذلك سيجري دعم المصالح الفرنسية في فلسطين؛ لأنَّ فرنسا ستجد فيهم الوسيلة التي تساعدها على حماية مصالحها في المنطقة، لذلك استعملت فرنسا الدعاية الإعلامية داخل فرنسا ضدّ اليهود، لإثارة الرأي العام ضدَّهم والتشهير بهم في الصحف والمجلات، مضافًا إلى تشجيع اليهود الفرنسيين على الاستيطان في فلسطين[١].

ولكن الاتجاه المعادي للوجود اليهودي في فرنسا لم يستمرّ طويلاً، واتَّجه المجتمع الفرنسي إلى عَلمنة الدولة، وقد صدر عام ١٩٠٥م قانون يقضي بفصل الكنيسة عن الدولة، ولم تؤثِّر معاداة اليهودية «معاداة السامية» في حياة اليهود في فرنسا[٢].

---

١ - أحمد حسين عبد الجبوري: سياسة فرنسا تجاه يهود فلسطين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ص٧- ٨.

٢ - أحمد حسين عبد الجبوري: سياسة فرنسا تجاه يهود فلسطين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ص٩٦

ومنذ بداية القرن العشرين تحسَّنت أوضاع اليهود في فرنسا بشكل هائل، وتزايدت أعدادهم نتيجة الهجرة اليديشية اليهودية، وبرز عدد من الشخصيات اليهودية التي أثَّرت في المجتمع الفرنسي في عدة مجالات، ففي الفلسفة -مثلاً- وعلم الاجتماع برز دور (إميل دوركهايم– Émile Durkheim) الذي يعدّ هو و(ماكس فيبر–Max Weber) من أكثر الشخصيات تأثيراً في علم الاجتماع الحديث الفرنسي، وقد نشأ من أسرة يهودية متديِّنة من سلالة الحاخامات، مضافًا إلى (مارسيل بروست–Marcel Proust) في مجال الأدب، مع أنه لم يكن يهوديًا، وإنَّما كانت أُمُّه يهودية. ومنذ نهاية الحرب العالمية الأولى حتى الثانية ازداد تعداد الجماعة اليهودية في فرنسا نتيجة هجرة اليهود إلى فرنسا، حيث عملوا على الاندماج في المجتمع الفرنسي رغم الفروق بين موروثهم التاريخي العقدي اليهودي المختلف عن ثقافة المجتمع الفرنسي، وكانوا يعملون في الحِرَف والمِهن، كصناعة الملابس، والجلود، والصناعة..، فاندمجوا خلال حركة العُمَّالية الفرنسية، وساروا على القيم والمبادئ السياسية للحزب الاشتراكي الفرنسي، وخلال الحرب العالمية الأولى انخرطوا داخل صفوف الجيش الفرنسي، وشاركوا في المقاومة ضد الاحتلال الألماني لباريس. وكان اتحاد الطوائف اليهودية في فرنسا (La Federation des societies Juives

de France "FSJ") الذي تأسَّس عام ١٩٢٣م، يقوم برعاية المصالح اليهودية وتلبية احتياجات اليهود في فرنسا[١].

ثانيًا: النشاط الصهيوني في فرنسا منذ ثمانينات القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الثانية

تعدّ فرنسا أوَّل الدول الاستعمارية التي نادت بإنشاء الدولة اليهودية وتوطين اليهود في فلسطين، ومع تحرير اليهود في فرنسا، ومنحهم الحقوق المدنية والسياسية بوصفهم مواطنين فرنسيين. اندمجت الغالبية العظمى من يهود فرنسا مع المجتمع الفرنسي وأصبحوا مواطنين فرنسيين، لذلك فإنَّ ظهور الحركة الصهيونية التي ارتبطت بالنشاط الاستعماري الغربي الذي نادى بالقومية اليهودية، ودولة يهودية تجمع شتات اليهود، كان يتعارض مع المكاسب التي تحقَّقت للجماعة اليهودية في فرنسا، فلم يلاقِ الفكر الصهيوني الاستيطاني قَبولاً من اليهود الفرنسيين المندمجين الذين اكتسبوا الثقافة الفرنسية وانخرطوا في الطبقة الوسطى والبرجوازية، ووجدت الأفكار الصهيونية

---

١ - أحمد حسين عبد الجبوري: سياسة فرنسا تجاه يهود فلسطين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ص١٠٤- ١١١

قَبولاً من المهاجرين اليهود من شرق أوروبا ووسطها الذين لم ينصهروا في المجتمع الفرنسي، وكانوا ضمن الأنشطة الشيوعية والاشتراكية، ومثّلوا الجناح اليساري الصهيوني، وكان أوَّل تجمع يشكّله هؤلاء في فرنسا هو التجمّع اليهودي الأبدي الذي شكَّلته جماعة من المهاجرين الروس. وبالتالي، نشأت جمعيات طالبية صهيونية في مختلف أنحاء فرنسا. وعلى الرغم من أنَّ الحركة الصهيونية كانت مرفوضة من السياسة الفرنسية التي تعتبر هذه الحركة موالية للنظام الاستعماري البريطاني، وحتى مع تغيُّر أوجه التنافس الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا بعد اتفاقية (سايكس بيكو)، وتقبّل السياسة الفرنسية للحركة الصهيونية، وإعلانها شرعية إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ودعمها، لم يكن هناك إقبال على الهجرة اليهودية إلى فلسطين من الغالبية العظمى للجماعة اليهودية في فرنسا، وكان النشاط الصهيوني يقتصر على اليهود المهاجرين من دول شرق أوروبا وبعض المثقفين الفرنسيين اليهود. وفي عشرينيات القرن العشرين، ازدهرت أنشطة المنظَّمات الصهيونية في فرنسا، وشارك في دعم هذه الأنشطة القيادة الدينية وزعماء الجماعة اليهودية في فرنسا. وفي عام ١٩٢٣م، قامت الجمعية العامة ليهود فرنسا بتشجيع من رئيس الحاخامات (إسرائيل ليفي–Israel Lévi) بدعوة جميع يهود فرنسا للمشاركة في النشاط اليهودي لإعمار فلسطين

اليهودية، ثمَّ بدأت الحركة الصهيونية بالتطوُّر في فرنسا[١].

ولكن في فترة النازية، ومع هزيمة فرنسا، واجتياح الجيوش الألمانية لفرنسا عام ١٩٤٠م، وتوقيع الهدنة بين فرنسا وألمانيا، جرى تقسيم فرنسا إلى منطقتين: الأولى تخضع لألمانيا، والثانية تحت سيادة فرنسا، وتشكَّلت حكومة «فيشي» الموالية لألمانيا التي أصدرت عدَّة تدابير ضدّ اليهود في فرنسا حدّت من حرية تعاملات اليهود، وجرى اعتقالهم وترحيلهم من الأراضي الألمانية، وفي هذه الفترة تأسَّست جمعيات يهودية سرِّية كانت تعمل في الخفاء لتقديم المساعدة للاجئين اليهود، مثل منظَّمة (Rue Amelot) في باريس عام ١٩٤٠م، ورغم ذلك بقيت فرنسا من أكثر الدول التي جذبت أفراد الجالية اليهودية من أوروبا الشرقية للاستيطان فيها، وحقَّقت الجماعة اليهودية خلال ثلاثة عقود من القرن العشرين نجاحات كبيرة في المجال الاقتصادي والسياسي والثقافي، فوُجد كثير منهم في قائمة الرأسماليين الذين أنشأوا عدَّة مؤسَّسات صناعية وتجارية وإعلامية، كما اعتلى بعض الفرنسيين اليهود حقائب وزارية، ووُجد عدد منهم في النشاط السياسي الفرنسي[٢].

---

١ - أحمد حسين عبد الجبوري: سياسة فرنسا تجاه يهود فلسطين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ص١٠٧.

٢ - أحمد حسين عبد الجبوري: سياسة فرنسا تجاه يهود فلسطين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ص١٢١.

وتعدّ الجماعة اليهودية في فرنسا أكبر تجمع يهودي في دول أوروبا، وثاني تجمُّع يهودي في العالم خارج إسرائيل بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وأكثر من نصف الجماعة اليهودية تعيش في باريس وضواحيها، ولهم معابد وحاخامات.

ولكن بعد الحرب العالمية الثانية قلّ عدد أعضاء الجماعات اليهودية في أوروبا الغربية؛ حيث هاجر بعضهم إلى إسرائيل، وهاجرت غالبيتهم إلى الأمريكيتين، وفي عام ١٩٦٩م لم يزد عدد المدارس اليهودية في أوروبا الغربية عن أربعين مدرسة، بعضها في مدن لم يكن يوجد فيها مدارس يهودية من قبل، ولقد كان لنمو الجماعات اليهودية في فرنسا خلال الخمسينات والستينات، نتيجة هجرة يهود شمال إفريقيا أكبر الأثر في زيادة حجم المؤسَّسات التعليمية اليهودية، والتوسُّع في المدارس، خصوصًا مدارس اليوم الكامل، وكان الصندوق الاجتماعي الموحَّد (FSJU) قد قام بالتعاون مع الوكالة اليهودية عام ١٩٧٦م بالتعاون مع الوكالة اليهودية بتأسيس الصندوق الاستثماري للتعليم (FIPE) الذي عمل على تأسيس مدارس عدّة في باريس والأقاليم، حيث وصل عدد المدارس إلى (٥٥) مدرسة في باريس، و(٣٣) في الأقاليم، شاملة لكل مراحل التعليم، وكانوا يتلقّون تعليمًا دينيًّا يهوديًّا، ويرجع هذا التحوُّل إلى وجود حركة عامة نشأت في فرنسا، واتَّجهت لتأكيد اللا مركزية،

والخصوصية الإقليمية، وعارضت مركزية الدولة، ثمَّ بدأت الجماعات اليهودية بالمطالبة بالاعتراف بالهُويات الدينية والإثنية، لكن أشكال الهُوية اليهودية اختلفت وتعددت، فاتخذت شكلاً دينيًّا إثنيًّا بين اليهود القادمين من شمال إفريقيا بتراثهم وتقاليدهم، واتخذت شكلاً إثنيًّا غير ديني بين اليهود الأوروبيين، خاصّة ذوي الأصول الشرق أوربية والتراث اليديشي. وإذا كان تعميق الهُوية اليهودية - وإن تعدَّدت أشكالها، له أثر في تزايد الالتحاق بالمدارس اليهودية، فإنَّ الجزء الأكبر من الأطفال اليهود ظلَّ خارج النظام التعليمي اليهودي، خصوصًا أنَّ النظام الحكومي التعليمي الفرنسي كان إحدى أدوات الحراك الاجتماعي بالنسبة لأبناء المهاجرين، وتوفّر المدارس الحكومية فصولاً للعبرية، وتسمح لطلابها بتلقّي تعليم ديني بعد ساعات الدراسة المدرسية، وتضمّ الجامعات الفرنسية أقسامًا وبرامج للدراسات اليهودية والعبرية، وقد تأسَّست عام ١٩٨٥م مدرسة للدراسات العليا اليهودية ملحقة بمعهد باريس القومي للغات والحضارات الشرقية، لكي تقدّم برامج تعليم العبرية الكلاسيكية، والحديثة، ومقرَّرات دراسية في فكر الجماعات اليهودية وتاريخها، كما يقدّم مركز "راشي" الذي تديره منظمة الصندوق الاجتماعي الموحد، برامج لنيل الدرجة الجامعية في الدراسات اليهودية بالتعاون مع جامعة السوربون ـــــ بانشون، وهذه

المراكز إنَّما تقدّم عاملاً مساعدًا في عودة بعض من اليهود إلى ممارسة الشعائر الدينية[١].

وهنا يظهر كيف تغلغل الفكر اليهودي في فرنسا من خلال هذه المراكز في شتّى المجالات الاقتصادية، والسياسية، والتعليمية، والدينية، فتزايدت سيطرتهم وقوَّتهم داخل المجتمع الفرنسي.

١ - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية، ج٣، ص٥٠٨.

الفصل الثاني:
الأثر اليهودي في الفلسفة الفرنسية

المبحث الأول:
في عصر التنوير في كتابات (فولتير) و(روسو)

في الجزء الأول من عصر التنوير حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر، غلبت عليه المطالبة بالإصلاح الديني وإعلاء مكانة العقل، ويعدّ من أهم القرون انفتاحًا على الواقع العلمي، كونه ثورة على التقاليد والموروثات البالية التي كانت تهيمن على فكر الإنسان، لذلك فإنَّ تطوّر الفكر السياسي في فرنسا في القرن الثامن عشر يعكس انطلاق الإيديولوجيا البرجوازية وازدهارها، فقد عمد فلاسفة الأنوار إلى الكفاح في سبيل تحرير العقول من التقاليد السائدة والملكية المطلقة والمستبدّة، فكان لفلسفة (إيمانويل كانط–Immanuel Kant)، و(جان بول سارتر–Jean-Paul Sartre)، و(لودفيغ فيورباخ–Ludwig Feuerbach)، و(فريدريك نيتشه–Friedrich Nietzsche).. وغيرهم.

هي التي سمحت بظهور اللا إنسانية (من الأنوار إلى الاستعمار إلى الكوارث..)، ومع ظهور الشك الديكارتي الذي يربط الأسباب بالنتائج في كل شيء ما عدا قضية الاستعمار، وخاصّة احتلال فلسطين، ويظهر ذلك في موقف (سارتر) من الصراع العربي الصهيوني، وفكرة (جان جاك روسو-Jean-Jacques Rousseau) عن بعث الدولة اليهودية؛ حيث ظهرت المسألة اليهودية في الغرب مع عصر النهضة الأوروبي؛ لأنَّ أوروبا فشلت في استيعاب اليهود على أراضيها أو التخلّص منهم؛ بسبب صعوبة اندماج اليهود في المجتمع الأوروبي، كونهم يبقون مصرّين على الصورة النمطية التقليدية الموروثة، فيجدون صعوبة في الانخراط في نسيج القوميات والدول القومية الجديدة وتشتّتهم، وهشاشتهم، وعدم قدرتهم على الانصهار في الثقافات المحيطة. لكن هذه المطالبة بدأت تتغيَّر في النصف الثاني من القرن ذاته؛ إذ احتدمت المعركة بين أنصار المنهج العقلاني والمتديِّنين المتعصِّبين المعارضين للإصلاح الديني؛ إثر كتابات عدد من الفلاسفة والمُفكِّرين الذين نادوا بالحاجة إلى سيادة العقل، وفصل الدين عن الدولة[1].

لعلَّ هذا الواقع قد دعا المُفكِّرين الفرنسيين ليتجهوا إلى اتِّباع

١ - ف. فولغين: فلسفة الأنوار، ص٥.

اتجاهٍ إلحادي معادٍ للدين، يؤسِّس لمفاهيم جديدة في الأخلاق، ومن بينهم الفيلسوف الفرنسي (فولتير-Voltaire) الذي يُعدّ من المُفكِّرين الفرنسيين الذين لعبوا دورًا مُهمًّا في إلهام الثورة الفرنسية (١٧٨٩م)، فكان رمزًا لعهد التنوير، ومدافعًا عن الحُريات المدنية وحُرية المعتقدات، رغم انتقاده للدين والكنيسة، مؤكِّدًا أنَّه لا يحارب الدين، إنَّما يحارب الخرافات والتطرُّف، ويقف في وجه كل تقليد يعيق تقدّم البشرية، ومنتصرًا على الأساطير والسلطة[١].

يرى (فولتير) أنَّ معظم العقائد الدينية هي نسيج من الأساطير ووضع من الجماعات الدينية الأولى، ويطبِّق ذلك على المسيحية والديانات الأخرى، ولكن بالنسبة إلى موقفه من المسألة اليهودية كان معقَّدًا ومتناقِضًا إلى حدٍّ كبير، يعكس موقف بيئته وعصره تجاه الأديان والأعراف، فقد كان (فولتير) مناهضًا للعهد القديم واليهودية؛ لأنَّها تحتوي برأيه على درجة كبيرة من التعصُّب الديني والتفوّق العرقي المزعوم في نصوصهم اليهودية، معتبرًا دينهم بدائيًا غير عقلاني، ووصف اليهود بالانعزالية، وعدم الاندماج في المجتمعات الأوروبية، والممارسات الاقتصادية، كالربا، ولكنَّه في الحقيقة كان متناقضًا في

١ - مريم بن عطا الله: التراث والتنوير في فلسفة فولتير، ص٢.

مواقفه، فلم يكن معاديًا لليهود بوصفهم عرقًا بالمعنى النازي، بل كان نقده جزءًا من نقده للأديان عامّةً؛ حيث أبدى تعاطفًا مع اليهود بوصفهم ضحايا للاضطهاد المسيحي عبر التاريخ، فكان يقول إنَّ المسيحية ما هي إلا إعادة طرح لليهودية، ويقول: «يجب علينا جميعًا أن نكون يهودًا؛ لأنَّ يسوع المسيح - مُخلِّصنا- وُلد يهوديًّا، وعاش يهوديًّا، ومات يهوديًّا، وكان يتمّم، ويحقّق الديانة اليهودية».[1] وهنا يُبرِز (فولتير) علاقة المسيحية باليهودية، بأنَّها منبثقة منها؛ كونها خالية من التناقضات في أسفارها، خاصَّة في ما يتعلَّق بالخلق، كما يرفض (فولتير) التعصُّب الديني؛ لأنَّه قائم على أكاذيب وخيالات، والجميع يمارس دوره باسم القداسة، ما أدَّى إلى وقوع الخسائر البشرية على مدى قرون[2].

وكذلك يُعدّ (روسو) من أبرز مُفكِّري عصر التنوير الذين أثَّرت أفكارهم في الثورة الفرنسية، نادى بمبدأ السيادة الشعبية التي لا يجوز لأحد التصرُّف بها، وبالسلطة التشريعية التي يمارسها الشعب، ويدعو إلى فكرة المساواة المطلقة، والدعوة إلى الحكم الديمقراطي، فقد اهتمَّ بفكرة الدين المدني، وطرحها في كتابه (العقد الاجتماعي) وسعى

١ - فولتير: قاموس فولتير الفلسفي، ص٣١٠- ٣١١.

٢ - مريم بن عطا الله: التراث والتنوير في فلسفة فولتير، ص٢٠- ٢٣.

لتحرير العقل البشري من عبء الأفكار المسبقة[١].

ويذهب (روسو) إلى أنَّ الأديان (ومنها اليهودية) تُضعِف التماسك الاجتماعي، لذلك يجب إدماجها في الهوية الوطنية، وأنَّ بعض الطقوس والممارسات الدينية تؤدّي إلى الانعزال، فكان موقفه من اليهودية معقَّدًا إلى حدٍّ ما؛ فهو لم يهاجم اليهودية بشكل صريح، إنَّما كانت انتقاداته عامَّة في ما يخصّ مجالي الدين والمجتمع.

المبحث الثاني:
تأثير اليهودية في الفلسفة الوجودية الفرنسية: في فكر (سارتر) و(ليفيناس)

للأفكار اليهودية المستمدَّة من التراث اليهودي تأثير كبير في أفكار بعض الفلاسفة الوجوديين الفرنسيين؛ حيث طوّرت الوجودية، وقد ظهر ذلك جليًّا في أفكار (جان بول سارتر)، مع أنَّه لم يكن يهوديًّا، لكنَّه قد ألّف كتابًا عن اليهود عنونه بـ (تأمُّلات في المسألة اليهودية)، ناقش من خلاله فكرة الآخر والهُوية اليهودية، وربط بين معاناة اليهود وبين القلق الوجودي.

---

١ - ف. فولغين: فلسفة الأنوار، ص٢٣٠.

ولقد تأثَّر (سارتر) بالفلاسفة اليهود ولا سيّما (إدموند هوسرل- Edmund Husserl) (مؤسِّس الظاهراتية)؛ حيث كانت لخلفيَّته الثقافية وتجاربه بصفته يهوديًّا أثرًا عميقًا في عدّة جوانب من فكره التي انتقلت بدورها إلى (سارتر) الذي تأثَّر به، وسعى لتطبيق المنهج الهوسرلي على دراسة الوجود الإنساني، لينفتح على إثر ذلك على مفهوم الوجود الإنساني أو الوجود لذاته. يعد (سارتر) ممهِّدًا للحضور الفينومينولوجي لـ (هوسرل) في فرنسا، من حيث تبنّيه لمنهج (هوسرل) في القصدية التي تُعرِّف الوعي بأنَّه دائمًا وعي بشيء ما ولا يوجد بمعزل عنه، فالوعي مرتبط دائمًا بموضوعٍ ما، ولكن (سارتر) نقد قصدية (هوسرل)، فيذهب إلى أن الوجود المدرَك هو وجود أمام الوعي وليس فيه بل هو منقطع عنه، وعلى الرغم من نقده له، لكنَّه يبقى شديد الارتباط بفينومينولوجيا (هوسرل)، ساعيًا لتأسيس علم آخر هو علم الوجود الفينومينولوجي؛ كونه فلسفة تنطلق من إثبات الموضوعات والأنا الموجود في العالم ومع الآخرين، فهو يسعى إلى ردّ الاعتبار للعالم الخارجي ووجود الموضوعات[1].

١ - جيلالي حلوز: «سارتر والفينومينولوجيا الهوسرلية (القصدية معبر لفهم الوجود الإنساني)»، ص٣٠٩- ٣١٣.

وبهذا أعاد (سارتر) صياغة الظاهريات بطريقة تتناسب مع فلسفته الوجودية، مؤكِّدًا على مفاهيم الحُرية والقلق والالتزام في عالم لا معنى له، فيقدِّم (هوسرل) لـ (سارتر) الأدوات الفلسفية لبناء مشروعه الوجودي، لكن (سارتر) حوّلها إلى فلسفة أكثر تركيزاً على الفعل الإنساني والسياسة.

فقد سعى (سارتر) لإخراج الفرد من ذاتيَّته للالتحاق بالآخرين وبالتاريخ، واستبدل فكرة الوعي بفكرة العمل في موقف، وبعد أن كان الفرد منخرطًا مع الآخرين، أصبح منخرطًا في العالم بين الآخرين، لذا عمل على إنقاذ الإنسان من الشيئية، مركِّزاً على العلاقة بين الأنا والآخر التي هي علاقة حُرية، فالآخر موضوع وذات معًا، يؤثِّر في حُرِّيَّتي، لهذا تكون الذات في خطر دائم، فالآخر معناه سلب لحُرِّيَّتي[1].

لم تكن يهودية (هوسرل) محورًا فلسفيًّا صريحًا بقدر ما كانت لتجاربه بصفته يهوديًّا في بيئة أوروبية شهدت صعود فكرة معاداة السامية الأثر على نظرته إلى الأزمة الروحية لأوروبا، ولكون (سارتر) كان مهتمًّا بقضايا الاضطهاد والحُرية، فقد تلقَّى الإلهام من فكر (هوسرل) فاتَّجه

---

١ - نزيهة حويلي: أنطولوجيا الحرية في الفكر الغربي المعاصر (سارتر نموذجًا)، ص ٥١- ٧١.

نحو الوجودية الملموسة، مؤكِّدًا على الحُرية والالتزام. لذلك، فإنَّ تأثير (هوسرل) لم يكن من خلال يهوديَّته بشكل مباشر، بقدر ما كان من السياق التاريخي والثقافي الذي عاش فيه (هوسرل) بصفته يهوديًّا أوروبيًّا قد شكّل بعض جوانب فكره التي انتقلت إلى (سارتر)، لا سيِّما في ما يتعلَّق بنقده للوعي الزائف والمسؤولية الخُلُقية.

كما رفض (سارتر) معاداة السامية بشدَّة معلِّلًا ذلك بأنَّها ناتجة عن الخوف والجهل والاستغلال السياسي، ويذهب إلى القول إنَّ اليهودي مثله مثل أي إنسان حُرّ، ولكن القمع الذي يتعرَّض له يحرمه من هذه الحُرية. ويرى أنَّه يجب على العالم الأوروبي أن يتوقَّف عن معاملة اليهودي تبعًا للصورة النمطية التاريخية الموروثة التقليدية، فهو يرى أنَّ اليهودي ضحية اللا سامية.[1]

كان (سارتر) يميل إلى الصهيونية، فقد حضر عدَّة لقاءات سياسية كانت تُعقد لمناقشة القضية الفلسطينية الإسرائيلية؛ حيث كان يميل إلى اعتبار اليهودي عنصرًا داخل المجتمع ومصنّفًا تاريخيًّا، ولا يمكن عزله عن المجتمع، فاليهودي مواطن له الحقّ كالعرب والسود، وهو ما عبرَّ عنه في كتابه «حول المسألة اليهودية»، لذلك يدعو اليهود إلى اختيار

١- رفاس روميسة: الأخلاق في الفلسفة الوجودية (سارتر أنموذجًا)، ص٥٣.

هويتهم بكل حرية، ولا سيّما بعد المحرقة. أيَّد (سارتر) حقّ اليهود في إقامة دولة لهم تخلصهم من الاضطهاد، فدعا للاعتراف بحقّ إسرائيل في الوجود، وحقّها في الأرض والتملّك، ومع ذلك كان منتقدًا انتهاكاتها ضدّ الفلسطينيين. لم يكن (سارتر) متأثّرًا بالفكر اليهودي بقدر تأثّره بالأفكار الوجودية والاجتماعية التي طرحها المُفكِّرين اليهود، وخاصة في ما يتعلَّق بقضايا الاضطهاد والهُوية. فقد كان يرى أنَّ اليهودي مواطن واقعي له الحقّ كالعربي وغيره من الشعوب، ولا يجب عزله عن المجتمع، فالمجتمع اليهودي برأيه ليس بالإثني ولا السياسي ولا العالمي، إنَّما يُصنّف بالتاريخي، وهنا نلاحظ كيف بقي (سارتر) محافظًا على التزامه الخُلُقي والسياسي بطريقته الخاصَّة؛ حيث يرى أنَّ المسألة اليهودية نشأت مع معاداة السامية، فنجده يتعاطف مع الشعب اليهودي لما تعرَّض له من قمع واضطهاد عنصري، وإبادة عرقية خلال الحرب العالمية الثانية، ومؤيِّدًا لفكرة إقامة وطن لهم، متناسيًا تمامًا حقوق الشعب الفلسطيني التاريخية في السيادة على أرضهم فلسطين، ثمَّ يعود في مرحلة لاحقة يحاول التوفيق فيها بين أهمِّيَّة التسليم بوجود «دولة إسرائيل» والاستجابة لمطالب الفلسطينيين في وطنهم وإنشاء كيانهم الوطني[1].

---

١ - عودة، سبخة: سارتر والفعل التحرُّري، ص٦- ٦٦

فهو يرى أنَّ العلاقة بين يهود إسرائيل وبين العرب الفلسطينيين هي علاقة بين مظلومين، كلّ منهما تعرّض للظلم والاضطهاد، ومن هنا يجب عليهما برأيه أن يبحثا عن آليات للتعايش والسلام في ما بينهما، ما يضمن مبرّرًا للمشروع الصهيوني الذي يدعمه (سارتر). وهنا يمكن الحديث عن ثلاث مراحل مرّ بها موقف (سارتر) تجاه الصراع العربي الصهيوني، ربما يبدأ بمرحلة الإنكار والتجاهل الذي يتأتّى من إحساسه بالذنب تجاه اليهود الذي جعله يغفل عن الرؤية الحقيقية، فيدافع عن حقّ اليهود على حساب الجماعة الإنسانية الأخرى التي سلبها حقها الوجودي، وفي المرحلة الثانية هي دفاعه عن المُضّطَهَد العدواني متأثّرًا بها بحالة الاضطهاد التي تعرّض لها اليهود من جانب الاحتلال النازي، وكأن (سارتر) يُسقِط صورة النازي على العربي الفلسطيني، رغم أنَّ الفلسطيني يدافع عن حقه الوجودي وعن أرضه المسلوبة تجاه الاحتلال المُغتَصِب، فيصبح بذلك (سارتر) وكأنَّه مغمَّض عينيه عن الحقيقة، ولا يرى المذابح التي يقوم بها الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين. أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الضحية المظلوم: التي أصبح فيها (سارتر) متجاهلاً بشكل نهائي للحقّ العربي بالوجود والدفاع عن أرضه، فاختطّ لنفسه موقفًا توفيقيًا يتملص منه من التعرض للتأنيب واللوم، فيرى أنَّ كلا الطرفين ضحية للظلم، ولا بدّ لهما من

التعايش واعتراف كل منهما بوجود دولة مستقلّة للأخرى.

ولم تفلح محاولات (سارتر) في التوفيق بالعيش المشترك؛ لأنه مازال يعتقد أن إسرائيل مظلومة وتجمع كل يهود أوروبا المشتَّتين، وهذا حقُّها، متجاهلاً حقّ العربي الفلسطيني بأرضه، وأنَّ إسرائيل اغتصبت هذا الحقّ دون أدنى شرعية أو إنسانية.

وكذلك يظهر التأثير اليهودي في فلسفة الفيلسوف الفرنسي (إيمانويل ليفيناس–Emmanuel Levinas) (١٩٠٦- ١٩٩٥م) الذي يعدّ واحدًا من أبرز فلاسفة الغرب المعاصرين الذين كرَّسوا أعمالهم عن مفاهيم إشكالية معاصرة، لعلَّ من أبرزها (مقولة الآخر)؛ كونها مقولة مركزية تعطي للوجود معناه، فيظهر الآخر من خلال مقولة الوجه الذي يمثّل مرآة تعكس حقيقة الأنا التي ينبغي على الآخر احترامها.

فالإحساس بالآخر يُترَجَم إلى إحساس عميق بالمسؤولية تجاهه، فهو يفضّل الآخر اليهودي على الآخر غير اليهودي، ويتلاعب بالألفاظ، وبعلاقة الدال والمدلول، بهدف التعبير عن ثنائية اليهود أو الشعب المختار مقابل الآخر (أي الأغيار)، فيرى أنَّ الشعب اليهودي له مكانة خاصَّة في الكون، وهو شعب مختار، الأمر الذي يعطيه مسؤولية أكبر، ولكنَّه يحمل أيضًا معنى الانفصال والتميُّز (وهذا يشبه فكرة الحلولية اليهودية القديمة)، فتكون رؤية (ليفيناس) حلولية، فاليهودي برأيه

يكتسب حُريَّته بأن يعيش تحت نير الشريعة الذي يتطلَّب منه الإحساس بالمسؤولية الخُلُقية والاجتماعية، فاليهودية تستند إلى استحالة ردّ الإنسان إلى ما هو دونه، وأنَّها قدر ومسؤولية الشعب اليهودي المختار الذي يتبدّى في الدولة الصهيونية المستندة إلى الرغبة القوية في البقاء، ومن هنا جاء تعريف (ليفيناس) لمَهمَّة الفلسفة بأنَّها تعريف العصر الحديث بالتلمود، وأنَّه يمثِّل جوهر الصهيونية[1].

ولعلَّ أكثر نقد موجّه له في مشروعه الخُلُقي هو التناقض المطلق بين الغائية الخُلُقية المُثلى، ودفاعه المستميت عن آخرية الآخر، وبين اتخاذه موقفًا عمليًّا سياسيًّا غير خُلُقي؛ حيث يقارن بين آلام الشعب اليهودي وعذابه وآلام سائر البشر. لذلك، فإنَّ حديثه عن آخرية الآخر ليس إلا الاسم الآخر لليهود، وأنَّ باقي البشر مسؤولون عن الآخر (اليهودي) دون أن يكون لهم الحقّ في أن يطلبوا منه مبادلتهم المسؤولية؛ لأنَّ اليهود احتكروا دور الضحية الأبدية، فلا يحقّ لأحد أن يجادلهم في ذلك، حتى وإن استخدموا كلّ مظاهر العنف ضدّ شعب أعزل كالشعب الفلسطيني الذي لم يكن له أدنى مسؤولية عن عذاباتهم، وهنا يجري انتقاد (ليفيناس) بأنَّه كان يتعيَّن عليه أن يثبت أنَّ

١ - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية، ج٥، ص٤١٣- ٤١٤.

الآخر هو الآخر الإنساني بلا استثناءات، وأن يتَّخذ موقفًا نقديًّا خُلُقيًّا من ممارسات إسرائيل تجاه الفلسطينيين[١].

فقد كان (ليفيناس) مديرًا لدار المُعلِّمين الإسرائيليين الشرقيين؛ حيث التقى هناك مع المُفكِّر اليهودي (موريس شوشاني-Maurice Shoushani) الذي دعاه إلى تعلّم التلمود، فكان (ليفيناس) يعود دومًا إلى مناهل اليهودية (التوراة والتلمود)، ويتَّخذهما مصدرًا لإلهامه وتقديسًا للإيتيقا والتعالي الديني، وهو ما يتجلَّى في فكرته عن الآخر. فالميتافيزيقا عنده تنبع من تأمّل وجه الآخر اللا نهائي الذي يتحدّى الكل، فالبشري يقوم مقام الإلهي. وهنا يتَّضح البُعد اليهودي في مصطلحات (ليفيناس)، فيرى أنَّ الخطاب اليهودي (العبري) هو شكل من أشكال الإيمان الناضج الذي يؤكِّد لنا وجود الإله بيننا دون تجسّد، فالروحي الحقيقي لا نشعر به من خلال تجسّده، إنَّما من خلال غيابه.

لقد تحوّل (ليفيناس) من الأنطولوجيا إلى الإيتيقا من أجل تحقيق هذه الغيرية وبناء ذاتية متحرِّرة من قيود الكلية، ولكن سرعان ما تختفي هذه الروح الإيتيقية لديه عندما تبرز نزعته الصهيونية التي تنسف رؤيته

---

١ - غيضان السيد علي: «التجلِّي المُقدَّس لوجه الآخر في فلسفة ليفيناس»، ص٣٩١- ٣٩٣.

كلّها للعالم، لتصبح الغيرية منطوية ضمن عباءة المركزية الغربية، فهو دومًا ينادي باليهودي المُضطهَد داخل أوروبا عبر التاريخ، والذي يبحث عن مكان، وعن اعتراف داخل الثقافة الهيلينية، فجاء دفاعه المستميت عن الجرائم الصهيونية، متشبِّثًا بعقيدته الصهيونية التي دفعته إلى إنكار الحقّ الفلسطيني، وهنا تبدو المفارقة في فكره؛ فكيف يدعو إلى عالم إيتيقي خُلُقي يجري فيه تحمُّل مسؤولية الآخر، والدعوة إلى عدم القتل في العلاقة مع الآخر، وفي الوقت ذاته يدافع عن جرائم إسرائيل؟! لقد ظلَّت هوية (ليفيناس) اليهودية منطلقًا أساسًا في فلسفته وفكره، وأدّت به إلى بناء علاقة محدودة بالآخر تضفي الشرعية على الانقسام الأنطولوجي بين الشرق والغرب الذي كرَّسته المركزية الغربية عامّة، مرسّخة العنف عبر تجاربها الحربية، وعمل على التزام الصمت تجاه العنف الموجّه تجاه الأراضي الفلسطينية، مبرِّرًا حقّ اليهود فيها من خلال النصوص التلمودية، وأمله في إقامة دولة لليهود مقتطعة من الأراضي الشاسعة للدولة العربية من أجل حمايتهم. ولكي ينتزع الاعتراف بإسرائيل سعى إلى إضفاء الطابع الروحاني عليها، وفي الوقت ذاته يلتزم الصمت إزاء ألم الشعب الفلسطيني ومعاناته، هنا يمكن نسف كلّ نظريته عن الغيرية والفلسفة الإيتيقية؛ لأنَّ أفكاره ليست إلا امتدادًا للديانة اليهودية ونزعته الصهيونية، فيذهب إلى القول

إنَّ اليهودية بصفتها ديانة إنمَّا جاءت من أجل الإنسانية قاطبة، فلم يتنازل أو يتخلَّ عن التراث اليهودي والعبري والصهيوني[١].

وبه يتبيَّن أنَّ التأثير اليهودي في الفلاسفة الوجوديين لم يكن عقديًّا وحسب بِقَدَر ما كان فكريًّا وخُلُقيًا، فقد أُعيد تعريف الحُرية عند (سارتر) من حُرية اختيار الذات إلى حرية المسؤولية عن الآخر عند (ليفيناس)، فتجري نقل الفلسفة من الذات إلى العلاقة مع الآخر، وهذه مفاهيم مستقاة من الفكر والتراث اليهودي، شكَّلت إرثًا كبيراً في الفلسفة الفرنسية.

المبحث الثالث:
الموروث اليهودي في فلسفة (دريدا) التفكيكية

إنَّ وضع اليهود في الحضارة الغربية وما يمثّله من تجربة الشتات التاريخية التي نتج عنها تصدّع وتلاشٍ في الهوية اليهودية اللذان انعكسا بدورهما على تعامل اليهود مع الفكر واللغة، وأنتج مقولات فلسفية ونقدية، سيكون لها تأثير كبير في المشروع التفكيكي النقدي، فمسألة

---

١ - رشيد النفينف: في نقد الغيرية أو غيرية إيمانويل ليفيناس المأزومة، ص١٣٨- ١٤٢.

الانتماء شكَّلت سببًا مُهمًّا في اهتمام الناقد التفكيكي؛ حيث استطاعت القبالة اليهودية جذب عدد من المُفكّرين والباحثين اليهود لانبهارهم بأطروحاتها وأبحاثها من أمثال (نيتشه)، و(هوسرل)، و(سيغموند فرويد- Sigmund Freud)، و(جاك دريدا-Jacques Derrida) وغيرهم، فعلاقة القبالة بالتفكيك اتَّخذت بُعدًا خاصًّا نظرًا لتشابه المفاهيم الفلسفية التحليلية التي تتأسَّس عليها منظوميتها، ولا سيّما في مواطن: الاختلاف، والأثر، والأصل، والهوية، وثنائية الكلام، والكتابة الأصلية... وغيرها.

وتُعرّف القبالة بالتصوُّف اليهودي الباطني، فهي تمثِّل الطريقة الخفية السريّة الباطنية التي تعني انضباطًا معيّنًا، وهي مدرسة في الفكر نشأت في اليهودية، فالقبالة هي المصطلح التقليدي الأكثر استعمالاً، تعني التقاليد الباطنية للديانة اليهودية والتصوُّف اليهودي، وهي الحركات الباطنية المتعاقبة في اليهودية، والتأويلات الباطنية، وهي كلمة عبرية تفيد معنى التواتر، أو القبول ؛ أي التقاليد والتراث، أو التقليد الموروث، كما تعني التراث الشفوي المتناقل باسم الشريعة الشفوية[1].

فقد عُرِفت اليهودية بغياب التجانس والتعدّدية المفرطة التي تصل إلى حدّ التناقض، وكلمة صوفية في هذا السياق تعني الحلولية والتوحُّد مع

١ - إبراهيم الفيضا: دريدا والتراث القبالي، ص ١١٨- ١١٩.

الخالق التي ترى أنَّ الإله لم يكمل عملية الخلق بعد، وأنَّ الذات الإلهية لم تكتمل بعد، فالعالم في صيرورة دائمة، وهنا المتصوِّفة القباليون يدّعون أنَّ لهم الحق في مساعدة الإله على إكمال ذاته، فيكتسب الإله صفات تضادّية، كالحضور والغياب، والمطلق والنسبي، والثابت والمتغيِّر.... وهذه المفاهيم هي ما تأثَّر به فكر ما بعد الحداثة، وهنا يغدو التفسير الصوفي القبالي ضربًا من الهرطقة التي يحاول بها بعض المثقفين اليهود من تحطيم النص المقدَّس وتفكيكه (لا تفسيره). إنَّها عملية قلب كاملة للمعنى، الذي يغدو فيه النص خاضعًا للتناصّ، مُحيلاً إلى سلسلة من التأويلات غير المستقرّة، تذوب فيها الثنائيات، ويؤجَّل المعنى إلى ما لا نهاية، فالتفكيكية من المشاريع الفلسفية والنقدية لما بعد الحداثة، تندرج ضمن الإطار الصوفي اليهودي للقبالانية، فمقولات الحضور والغياب، والاختلاف، والإرجاء، والتشتّت، والتناصّ، ولا نهائية الدلالة، وغيرها من مفاهيم موازية هي نفسها مقوِّمات المفاهيم التفكيكية، التي نجدها عند (دريدا)، وهنا يجب أن تُجرى قراءة (جاك دريدا) في هذا السياق والتفسير الذي قدَّمه المتصوِّفة اليهود، والذي كان له الأثر العميق في فكر (دريدا) وفلسفته.[1]

١ - خالد القاسمي: الخلفية اليهودية لاستراتيجية التفكيك الدريدية، موقع الحوار المتمدن.

يعتبر (دريدا) من أهم فلاسفة التفكيكية وما بعد الحداثة، ينحدر من أصل يهودي سفاردي، وكان عضوًا في جماعة وظيفية استيطانية، يسعى إلى هدم الأنطولوجيا الغربية اللاهوتية بأسرها، والوصول إلى عالم الصيرورة الذي لا يوجد فيه أي أصل، ولا ثنائيات، وهذه هي الرؤية العدمية الفلسفية التفكيكية التي تأثَّر فيها باليهودية[1].

كان (دريدا) يعاني من مشكلة اللغة التي يشعر فيها بالغربة، وما يستتبعه ذلك من تمزّق وضياع في الهوية، فعمل على تفكيك هذه اللغة، فهو لكي يستجلي وضعه بوصفه يهوديًّا في علاقته باللغة الفرنسية، وبالمحيط القائم حولها، فإنَّه يستنجد بفكرة التشتيت، أي البحث عما هو مُفكَّك ومشتَّت ومبعثر، بقصد الوصول إلى ما هو موحَّد ومتناسق، فكانت مشكلة اللغة بالنسبة إليه هي ما يذكره بشتاته وهامشيته في الحضارة الغربية. والإحساس بفقدان الهوية انعكس على اتجاهه الفلسفي التفكيكي، فهو لا يستطيع الإفلات من سطوة الحضارة الغربية، فهو منفي فيها، والنفي يعبرِّ عن حالة اقتلاع وتشرّد وتشتّت، فهو اليهودي السفاردي الذي لا ينتمي إلى التيار الأساس لليهودية، ولا

١- أحمد عبد الحلم عطية: عبد الوهاب المسيري دراسة في سيرته المعرفية ونقده لقيم الحداثة الغربية، ص١٠٩- ١١٠.

يؤمن بهذه اليهودية ولا يحترمها، ولكنَّه يشير إليها دائمًا. لذلك، فإنَّ تجربة الشتات والتهميش التي يعيشها (دريدا) هي العامل المسؤول عن رؤيته التفكيكية للغة والتفسير والكتابة، وإنَّ الشتات الدلالي الذي تتقنه الذات اليهودية هو تعبير عن شتات هذه الذات[١].

كما تبرز أهمية الكتاب (الكتاب المقدّس- التوراة) عند (دريدا) وغيره من القباليين والمفسّرين. وهذا ما ناقشته (سوزان هاندلمان- Susan Handelman) في دراستها لأفكار (دريدا) الممارس للهرطقة اليهودية؛ إذ يعتبر أنَّ الكتاب المقدس (التوراة أهم من الله) برأيه، انطلاقًا من وفائه للكتابة أوَّلًا، فهو بهذا يفتح النظام المغلق للميتافيزيقا، ويعمل على إقصاء أي شيء خارجها، مؤكِّدًا أنَّه لا يوجد شيء خارج النص، وما تبقى لـ (دريدا) من هذا الشتات هو "الختان" الذي يشير إلى جذورهم اليهودية الحقيقية، فالختان يشكِّل مأزقًا حقيقيًا في حياة (دريدا) (ويعبرّ الختان في اليهودية عن حلولية النسق اليهودي، وعن تداخل المطلق والنسبي، وهو علاقة بين الإله وإبراهيم وجماعة إسرائيل، وهو ما أسبغ القداسة عليهم). فالختان سمة أساس لليهودي

---

١ - سعد البازعي: المكوّن اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص ٥١٨- ٥٢٣.

يشبه الكتابة بما هي نقش على الجسد الخاص، من الصعب محوه رغم مرور الزمن، والختان يشبه الخاتم المزدوج الإثبات، فهو إطار ودائرة للعودة من حيث الذات نفسها ترجع وتتكرَّر لأنَّها مختلفة. وهنا يربط (دريدا) بين الختان والكتابة المنقوشة، وإزالة الكتابة ومحوها، والختم وإعادته، والوشم، فالقبالة اليهودية تُعنى بالذكر المختون الذي يجب ستره في انكشافه، والذي يجري على أسس خُلُقية، فهو يمثِّل الطقس والسرّ المقدَّس الذي يلعب اليهودي من خلاله دور الإخفاء والخداع[1].

وكذلك يتمثَّل عند (دريدا) الختان بأن يصير الجسد نصًّا بفعل الكتابة، وهو الذي يماثل عند القباليين بنقش الجسد، فيستمدّ الفرد اسمًا، هذا الطقس اليهودي الذي حافظ عليه (دريدا)، وإن لم يكن بكل تفاصيله.

إنَّ علاقة (دريدا) بإشكالية الهوية والإرث اليهودي ليست علاقة آلية ومباشرة، إنَّما تتصل بمنهج التقويض لديه، مضافًا إلى مفهوم (الملحق أو الإضافة) الذي يحيلنا إلى مفهوم (الهامش)، وهما مفهومان مترابطان، يشكِّلان جزءًا من مفاهيم (دريدا)، ومفهوم الهامش لديه

١ - إبراهيم الفيضا: «دريدا والتراث القبالي»، ص١٣٣- ١٣٦.

إنَّما يرتبط بوضعه الإثني؛ إذ إنَّه قادم من الملحق، ومن هامش الثقافة، ومن هامش الحياة الاجتماعية والانتماءات القومية السائدة بلغاتها الأم، فهو ذو انتماء أقلَّويّ يتذكّر التهميش والاضطهاد الذي جاء منه أجداده اليهود، فمن السمات الثقافية اليهودية لدى (دريدا) هو ارتباطه بالتراث اليهودي، ولا سيّما التراث الصوفي المعروف بالقبالة؛ حيث نجد كثيراً من مفاهيم ذاك التراث لها موازيات في أعمال (دريدا)، ومنها مفهوم «الأثر» الذي نجده في التراث الصوفي القبالي، وكذلك قوله: (لا شيء خارج النص)، هذا المفهوم الذي استقاه من التفسير اليهودي[١].

وبهذا، فإنَّ فلسفة التفكيك والاختلاف عند (دريدا) قد صدرت عن خلفية لاهوتية يهودية، تنعكس في مقولاته عن الحضور، والغياب، والتشتّت، والإرجاء، والأثر، والكتابة الأصلية، ولا نهائية التأويل، ولا شيء خارج النص، وغيرها. وهو ما يعكس التأثير الصوفي القبالي للتوراة، وهي امتداد يتضمن عناصر حلولية تفسيرية للهيرمنيوطيقا المهرطقة التي باشرها الحاخامات في إطار الشريعة الشفوية (التلمود) التي ابتدعها الحاخامات اليهود، فلا يمكن فهم استراتيجية التفكيك

١ - سعد البازعي: المكون اليهودي، ص٣٥٨- ٣٧٥.

بمعزل عن الإطار اللاهوتي الذي نشأت فيه هذه المفاهيم[١].

يصنِّف (دريدا) نفسه يهوديًّا ويوقّع كتاباته بكلمة (حاخام)، ويرى أنَّ وظيفته بصفته يهوديًّا هي تفكيك الأنطولوجيا التي تستند إلى الأصل الإلهي، معتمدًا على مفهوم (الكتابة)، وما عبارته (لا شيء خارج النص) إلا تفسير لمعنى لا وجود لشيء خارج المفسِّر (الحاخام)، وهو ما يعني موت الإله، وموت النص، ومولد الحاخام[٢].

وهكذا تهيمن التعدّدية المفرطة، ولهذا فإنَّ أساس الهيرمنيوطيقا اليهودية ليس شيئًا في النص، إنمَّا في العقل الحاخامي، ويغدو النص المهرطق محلّ النص المقدَّس.

إنَّ مفاهيم الحضارة الغربية في جوهرها حضارة تفكيكية، ألغت فكرة الإله وهمَّشتها، وما مصطلحات ما بعد الحداثة إلا انعكاسًا لمفاهيم يهودية، كمفاهيم الحضور والغياب، والاختلاف والإرجاء التي كانت مفاهيم جوهرية في فلسفة (دريدا)، والتي ترفض المعنى النهائي في النصوص، وتشبه منهج «المدراش» اليهودي في تفسير النصوص المقدّسة (الذي يقبل تعدد القراءات)، فالكتابة برأي

١- مديحة دبابي: «إشكالية تأثير القبالة اليهودية في تفكيكية (جاك دريدا)»، ص٥١٢- ٥١٥.

٢ - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية، ج٥، ص٤٢١- ٢٢.

(دريدا) تحمل فكرة غياب المؤلِّف، وهذا ما يشبه في اليهودية فكرة لوح موسى عليه السلام المكسور، ويتوافق مع التقاليد اليهودية التي تقوم على فكرة غياب الله الذي يتجلَّى عبر النصوص. يقلب (دريدا) الأَولوية التقليدية، فيقول بأَولوية الكتابة قبل الكلام، الأمر الذي يعكس مكانة النص المكتوب في اليهودية، كون التوراة المكتوبة سبقت التقاليد الشفهية.

ويسعى (دريدا) إلى تحرير الدالَ (المحسوس) من المدلول (المعقول). وبالتالي تحرير الدالَ من اللوغوس، وكذلك تحرير الكتابة وإطلاق حُرية النص وفتحه على التأويل اللا نهائي، كأنَّما يردّ (دريدا) الاعتبار للفكر الرباني اليهودي الذي ينطلق في إدراك الوجود من الحرف/ الكتابة (الدالّ)، ويقدّس النص، وهو ما عبرَّ عنه (دريدا) بقوله: «اليهودي اختار الكتابة والكتابة اختارت اليهودي»، ولقد جاء في المدراش: «اقرأ التوراة وتدبرها، اقرأها فكل شيء فيها»، وهو ما وافقه (دريدا) بقوله: «لا شيء خارج النص»، ومع ذلك يصرّ (دريدا) على إنكار علاقته وتأثّره بالتصوّف اليهودي القبالي؛ حيث يقول ردًّا على الاتهامات الموجّهة إليه عن تأثّره بالصوفية: «لسوء الحظ، أو لحسن الحظ، كيفما تريد، إنّني لست صوفيًا وليس هناك ما هو صوفي في أعمالي». ولكن ذلك لم يبقَ سرًّا؛ فقد كشفت الدراسات عن الاتفاق

والالتقاء بين (دريدا) والقبالة، ولا سيّما من خلال نظرته إلى طبيعة النص[١].

يعلّمنا (دريدا) الشكّ، والحذر، والحفر في ما هو غائب تحت الكلمات الحاضرة، وهو الذي اشتغل في مشروعه على تفكيك البنية الأنطوثيولوجية للفكر الغربي، فالتوقيع باسم حاخام ليس أمرًا عاديًّا أو بريئًا، إنَّما يكشف التعالقات التحتية بين التفكيك واليهودية باعتبارها جذرًا مُهمًّا لفهم التفكيك، فالتفكيك يصدر عن خلفية يهودية لاهوتية كما ذهبت إلى ذلك (سوزان هاندلمان)، يستمدّ منها مفاهيمه ورؤيته الخاصّة للتفسير القبالي للنص المقدَّس الذي قام به الحاخامات، فالتفكيك تكرار لبنية قديمة وعودة الفكر الربَّاني من خلال مفهوم الكتابة المقدَّسة، فيظهر استناد (دريدا) إلى مفاهيم يهودية، واعتمد على الكتابة؛ أي النصّ المقدّس؛ حيث يرى أنَّ التوراة قد سبقت خلق العالم، بحيث يعرّف (دريدا) الكتابة بأنَّها ميلاد وشغف الكتابة، فاليهودي برأيه لا يحنّ إلى الأصل، فهو دومًا المتحوّل الذي لا يثبت ولا يستقرّ، إنَّما هو محكوم بالشتات، وما الختان إلا شبيه بالكتابة[٢].

---

١ - عبد المنعم عجب الفيا: «في الجذور اللاهوتية للتفكيك»، موقع سودارس.

٢- مديحة دبابي: «إشكالية تأثير القبالة اليهودية في تفكيكية» (جاك دريدا)»، ص٥١٤- ٥٢٠.

لذلك، تأتي مصطلحات (دريدا) لاهوتية، وهو في الوقت ذاته يقوّض لاهوتية الفكر الغربي، الأمر الذي يكشف العلاقة الواضحة بين مصطلحاته وبين أساليب اليهودية في التفسير المدراش (المدراش: هو طرق تفسير النصوص المقدَّسة)؛ حيث يذهب (دريدا) إلى حدّ تحطيم النصّ المقدَّس وتفكيكه لا تفسيره؛ حيث يصبح التفسير أكثر قداسة لديه من الكتاب المقدس.

يتبيَّن من هذا كيف أنَّ الفلسفة التفكيكية الفرنسية قد استوعبت وتأثَّرت بالعقيدة اليهودية، وكانت في حوار معها، بحيث رفضت الثنائيات الصارمة، وصدرت عدَّة مفاهيم كمفهوم الآخر، والاختلاف وتأجيل المعنى، فكانت التفكيكية الفرنسية متساوقة في الحوار مع اليهودية بوصفها تقليدًا نصّيًّا، ومصدرًا لعدَّة مفاهيم، كالاختلاف، والمسؤولية، والآخر، والمعنى، ما ساعد في نقد المركزية الغربية وهذا ما يتفق بعمق مع الفكر اليهودي.

المبحث الرابع:
تأثير اليهودية في الفلسفة البنيوية

إنَّ تأثير الفكر اليهودي في الفلسفة البنيوية ولا سيّما مع الفلاسفة الفرنسيين لم يكن مباشرًا، إنَّما كان متضمِّنًا في فلسفتهم بشكل غير

مباشر، فالفكر اليهودي أسهم بوضوح في تشكيل أدوات التحليل البنيوي، وتظهر القواسم المشتركة بينها وبين الفكر اليهودي في ما يتعلَّق بمركزية اللغة والنص؛ بحيث يركّز الفكر اليهودي على قوّة الكلمة، وهذا ما نلاحظه في البنيوية في دراستها للأنظمة الدلالية المنعزلة عن الواقع، كما تظهر خبرة الهامشية والآخر لدى الفلاسفة البنيويين، حيث تعرّض كثير من هؤلاء الفلاسفة للاضطهاد والتهجير، الأمر الذي ولّد لديهم حساسية نقدية تجاه القمع والسلطوية والهيمنة، محاولين التركيز على الهوامش، فأسهمت خلفياتهم اليهودية في الاهتمام بالتفسير النصي (التلمود)، والشك بالسلطات المطلقة. وهذا كلّه يتوافق مع النقد البنيوي للمركزيات والبديهيات، والذي أسهم في بروزهم الفكري إنَّما يأتي في سياق ما بعد الحرب العالمية الثانية ومحاولة إعادة التفكير في أسس المجتمع والثقافة والمعرفة، وهذا ما أسهمت البنيوية في تقديمه وتوفيره. وتُعتَبَرَ البنيوية نظرية معرفية وفكرية جديدة في عالم الفكر، وواحدة من المناهج التي سعت إلى تفسير النصوص الدينية، فكانت بمثابة انقلاب فكري على التوجهات الفكرية السابقة عليها[1].

١- محمد أسامة بن عطاء الله: منهج التحليل النصي في تفسير العهد الجديد من خلال النظرية البنيوية عند رولان بارت (سفر أعمال الرسل أنموذجًا)، ص٤٥.

ويمكن ملاحظة هذا التأثير غير المباشر عند عدد من الفلاسفة الفرنسيين، يمكن استعراض أفكار، أهمّهم: (فرديناند دي سوسير- Ferdinand de Saussure)، رائد البنيوية؛ حيث كان التأثير اليهودي على فلسفته غير مباشر عبر اللسانيات اليهودية، يظهر من خلال اهتمامه باللغات السامية كالعبرية والعربية، وتظهر من خلال فكرة "اللغة باعتبارها نظامًا" التي تشبه الفكر الكابالي عن اللغة المقدَّسة التي تتساوق مع مفاهيم (دي سوسير) عن الدالّ والمدلول، والكلمة ليست مجرَّد دالّ بالنسبة إليه، إنمَّا تحمل قوة وجودية، كما هي في القبالة، فهو يفصل اللغة باعتبارها مؤسَّسة اجتماعية عن الكلام الذي هو عملية صادرة عن الفاعل، ويفصل اللغة عن تاريخ اللغة عن طريق نوع من القطع العرضاني، منصرفًا عن الزمن، ومركِّزًا على الدراسة التزامنية للغة، أو التعاقبية التطوّرية، كما أنَّه يفصل اللغة أيضًا عن سياقها الاجتماعي، ليدرسها وفق قوانينها المحايثة لها[1].

ويعدّ (دي سوسير) أوَّل من دعا إلى الدراسة الوصفية للغة بدلاً من دراستها دراسة تاريخية؛ كونها ظاهرة اجتماعية، فقد سعى إلى وضع الأسس المنهجية للتحليل اللغوي، مضافًا إلى وصف اللغات الإنسانية

١ - روجيه غارودي: البنيوية: فلسفة موت الإنسان، ص٢٣.

للوصول إلى الكليات المشتركة بينها، وذهب إلى استعمال مصطلح رمز أو علامة للدلالة على الكلمة لفظًا ومعنى، وللرمز اللغوي وجهان، يتمثّل الوجه الأوَّل في الدالّ، وهو الصورة الصوتية، والوجه الآخر هو المدلول، وهو الصورة المفهومية التي تعبّر عن المتصوَّر الذهني الذي يحيلنا إليه الدالّ، ويندرج الدالّ ضمن النظام المادي، بينما المدلول يندرج تحت النظام الذهني، بمعنى أنَّه يتحدَّد على مستوى مضمون الفكرة أو المعنى، ولكلٍّ من الدالّ والمدلول لهما طبيعة نفسية يتّحدان في دماغ الإنسان برباط الإيحاء، وهذا الكيان الثنائي منغلق على نفسه، ولا يحيل إلى شيء خارج نفسه في عالم الموجودات، وتشبه العلاقة بين الدال والمدلول ورقة ذات وجهين، وهذا ينطبق على اللغة؛ بمعنى أنَّه لا يمكن عزل الصوت عن الفكر، ولا عزل الفكر عن الصوت، ولكنَّنا نقوم بعملية تجريد ذهنية. وبهذا، فإنَّ (دي سوسير) يدعو إلى دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، فاللغة ليست مجرَّد آلة مادية صوتية، بل إنَّها نظام لغوي مشترك بين الجماعات اللغوية، وهي نظام من العلامات يجري بها اتحاد المعنى بالصورة الصوتية، على عكس الكلام المتنافر الأطراف، والعلاقة بين الدالّ والمدلول علاقة رمزية[1].

---

١ - يزه عبد الرحمن مصباح: «البنيوية اللغوية عند فرديناند دي سوسير»، ص٧٠- ٧٥.

أما بالنسبة إلى الفيلسوف البنيوي (رولان بارت–Roland Barthes) (١٩١٥-١٩٨٠م)، فكانت حياته في بيئة فكرية تعتمد على حوارات بين مثقفين ذوي خلفيات يهودية، مثل (كلود ليفي-شتراوس–Claude Lévi-Strauss)، و(دريدا) اللذَيْن كانا لهم دور كبير في تكوين البنيوية وما بعدها، وهو لم يكن يهوديًّا، إنَّما تأثَّر بمفكرين يهود كان على نقاش كبير معهم، وكان لهم دور كبير في تطوير منهجه، وهو لم يكن يدين بدين، بل كان وجوديًّا حُرًّا سارتريًّا، وهو يهودي ملحد لا يؤمن بإله، فقد كان يؤمن بفلسفة التحلّل التي تنحل فيها الوحدة المفترضة في أي فرد إلى تعدّدية، فيصبح كل منّا كثرة لا وحدة، فهو لا يؤمن بالله الواحد، إنَّما يدعم كل ما هو متعدّد أو متقطّع، فلذلك يمكن القول إنَّه كان وجوديًّا عدميًّا، ففلسفته تنكر معنى الوجود، وتقطع الصلة بين وجود الإنسان، ووجود الأكوان التي لا حقيقة وراءها إلا العبث، فهو عدو للفلسفة التي تدعو إلى التديّن، كما أنَّه قد تأثَّر بالفلسفة الوجودية العدمية، وعدميته الحُرة دفعته إلى القول إنَّ الأحداث كلّها في الكون إنَّما هي نتيجة الطبيعة الحمقاء التي لا دلالة ولا وجهة لأفعالها[1].

يتَّضح تأثَّر (بارت) بالفيلسوف (ليفيناس) في فكرة «وجه الآخر»

---

١ - أحمد راشد إبراهيم راشد: «تأثير الفلسفة الوجودية في خطاب رولان بارت النقدي «الكتابة في درجة الصفر» نموجًا»، ص١٨٨- ١٩٣.

التي تحوّلت إلى مفهوم «الموتى» في النقد البنيوي، ويظهر أثر الجذور التلمودية في قراءته للنصوص، في فكرة مركزية النص؛ حيث حوّل (بارت) المنهج اليهودي في التفسير إلى أداة نقدية، وإنَّه في منهجه في (موت المؤلِّف) يركّز على المتعة النصية التي تتشابه مع فكرة التلمود عن فكرة (تعدّد القراءات) بلا سلطة المؤلّف، فالتلمود والمدراش يعيدان بناء المعنى عبر تفكيك النص، وكذلك يظهر التأثير اليهودي والحياكة النصية، فهو يعامل النص الأدبي باعتباره نسيجَ علامات قابلة للتفكيك، وفي فكرته موت المؤلِّف فإنَّه يحرّر القارئ لينتج المعنى، وهنا نجد التقاطع مع التقاليد التلمودية التي تُعلي من شأن القارئ والمفسّر، وكذلك عندما فكّك (بارت) الخطابات المهيمنة من سياسية وإعلامية وثقافية، وكشف الآليات التي تنتج بها السلطة عبر العلامات، وهذا التفكيك هو ما نجده في الفكر اليهودي الذي يشكِّك بالمراكز الثابتة، ويوجد في خبرة اليهود التاريخية باعتبارها هامشًا في المجتمعات الأوروبية.

أسَّس (بارت) منهجًا تحليليًّا جديدًا اصطُلِحَ عليه بـ «المحكي» أو القصة أو السرد، معتمدًا على نصوص القصص والمحكيات التي يتّخذها نماذجَ للبحث، ومن بينها نصوص العهد القديم والجديد، فدعا بذلك إلى توظيف البنيوية في حقل الدراسات اللاهوتية لتحليل مضمونها وبنيتها وأنساقها، سعيًا منه إلى تأسيس علم السرد أو التحليل النصيّ للمحكيات،

يتخذ فيه النصوص المقدسة نموذجًا للتطبيق لما تحويه برأيه من محكيات، فتوجّه (بارت) نحو النص الديني من الإنجيل والتوراة لممارسة الكلمات من خلال تحليل محكيات دينية أصلها شفوي أو نصوص اتباعية، مسجلاً انتقالاً وعبورًا من التحليل البنيوي للمحكي نحو التحليل النصي للمحكي من وجهة نظر معينة، فالنص برأيه يحيل إلى لغة ونسق، ويسعى من خلال التحليل النصي أن يفجرّ الوحدة والانغلاق والكثافة ذات الكثافة الاهوتيّة للكشف عن اشتغال النص وعن تفاعل الأنساق والإيحاءات، وعن تفاعل المعاني، وإثبات الترابطات المتبادلة بين الوحدات والوظائف المكتشفة التي غالبًا ما تكون منفصلة أو متشابكة، فالمحلّل برأيه ينتج نصًا جديدًا، يحرِّر النص الأصلي من قيوده، فالنص لا يحتوي على معنى نهائي وحيد، والتحليل ليس اتباعًا للمعنى القديم المفروض مسبقًا من طرف المؤلّف على القارئ، لهذا يأتي دور المحلّل في الإعلان عن موت المؤلّف من خلال تفجير الانغلاق السابق وكشف اشتغال جديد عليه، عبر ما يُسمى بـ «التناصّ» بالبحث عن بنيته، وتفاعله مع النصوص الأخرى التي تتوالد باستمرار وتدل على معانٍ أخرى[١].

١ - محمد أسامة بن عطاء الله: منهج التحليل النصي في تفسير العهد الجديد من خلال النظرية البنيوية عند رولان بارت (سفر أعمال الرسل أنموذجًا)، ص٦٢- ٨٦.

وتظهر اليهودية عند (بارت) عندما حلَّل صورة اليهودي في الثقافة الشعبية الفرنسية (كالأفلام) بوصفها أسطورة لتجسيد الآخر، وتعزيز الهوية الوطنية، وهنا يظهر اهتمامه بآليّات بناء اليهودي بوصفها علامة ثقافية وليس حقيقة دينية.

إنَّ التأثير اليهودي على (بارت) ليس مباشرًا بقدر ما كان عبر المثقفين اليهود. وبالنسبة إلى فيلسوف (كلود ليفي شتراوس)، فإنَّه يعدّ الأب الروحي للبنيوية الفرنسية في دراسته للطوطمية والأنساب، ويظهر تأثّره القوي بالأنثربولوجيا اليهودية، خاصّة في فكرة التبادل الرمزي التي تعدّ إعادة صياغة لعقيدة «التيكون» القبالية، وكذلك فكرته عن التفكير البري (المتوحّش) تلمّح إلى أنظمة رمزية عالمية قريبة من مفهوم «السيفروت» في القبالة التي تعني البنى الإلهية التي تنظّم الكون، واستطاع تحويل النموذج الألسني، متنقلاً من نظرية في اللغة إلى نظرية في القرابة، إلى نظرية في العقل، ونظرية في الأسطورة، ونظرية عامّة في المجتمعات. كما سحب مفهوم التزامن من علم اللغة ليطبّقه على الأنثربولوجيا من خلال أسبقية اللا وعي.

يحلّل (شتراوس) علاقة اللغة (الوحدات الصوتية) بالقرابة؛ بحيث يرى أنّ حدود القرابة شأنها شأن الوحدات الصوتية هي عناصر دلالة، ولا تكتسب هذه الدلالة إلا إذا اندمجت في أنظمة القرابة،

مثل «الأنظمة الفونولوجية» يتمثّلها العقل على مستوى الفكر غير الواعي، فتوصّل إلى أنّ بنية أي لغة تتّبع طريقًا من الثنائيات والتراكيب المتوازية، ويوضّح علاقة اللغة بالثقافة كونها شرطًا للثقافة لا توجد من دونها، وعلاقتهما يتوسّطها الفكر أو العقل الإنساني، مؤكّدًا على النشاط اللا شعوري للعقل، ومؤكّدًا على تنوّع الثقافات، ويفسّر هذا التنوّع بسبب التباعد الجغرافي وخصائص البيئة، وجهل الناس ببقية البشر. هذا التنوّع يعبرّ عن ثقافات حيَّة، بينها علاقات تجمعها، وهو بذلك يعطي كل ثقافة الاحترام والاعتبار، فلا شيء برأيه يسمح بتأكيد تفوق عرق على آخر، ومع ذلك يركز على فكرة الخصوصية الثقافية لكل عرق، يرجعها إلى ظروف اجتماعية وتاريخية واجتماعية التي لا تتعلّق بالتكوين التشريحي أو الفيسيولوجي للسود أو البيض وغيرهم، الأمر الذي دفعه إلى الاهتمام بالنسبية الثقافية المعتدلة[١].

يمكن القول إنّ هذه التأثيرات اليهودية في البنيوية لم تكن واضحة وجليّة ومباشرة، فالبنيويون يتشابهون مع الفكر اليهودي دون أن يقوموا بذكر استشهادات واضحة بالتقاليد اليهودية بشكل صريح، فالتركيز

---

١ - عبده كساب عبد القدوس: «إشكالية التنوع الثقافي عند كلود ليفي شتراوس»، ص٦- ٢٠.

اليهودي على اللغة والتأويل والبنى الرمزية إنّما مهّد لظهور المنهج البنيوي في القرن العشرين، وتحويله إلى أداة نقدية جذرية للثقافة والمجتمع، والعمل على تحدي السرديات الكبرى والمركزية الغربية.

وكذلك الفيلسوف (جان فرانسوا ليوتار–Jean-François Lyotard) (١٩٢٤- ١٩٩٨م) مع أنه لم يكن مفكرًا دينيًا، لكن تراثه اليهودي ظل حاضرًا في بنية تفكيره، بحيث تحوّلت المفاهيم الدينية اليهودية لديه إلى استعارات فلسفية، كفكرة "الوصية" التي تحولت إلى مسؤولية خُلُقية أمام الآخر، مضافًا إلى فكرة "المنفى" التي أصبحت استعارة للوضع البشري في عصر ما بعد الحداثة، مع أنّه نشأ في عائلة كاثوليكية، لكن زوجته وابنته كانتا يهوديّتان، وهو تأثّر بشكل عميق بالتراث اليهودي، واستلهم من اليهودية مفاهيم خُلُقية وفلسفية مجرّدة، مثل مفهوم "الوصية" والمسؤولية المطلقة أمام الآخر، متأثرًا بالفيلسوف (ليفيناس)، كما ربط بين السرديات الكبرى (كالتقدّم، والتحرّر، والماركسية)، وبين التجربة اليهودية التاريخية في المنفى والشتات، وكذلك بما يتعلّق بالمحرقة، فقد اعتبرها نموذجًا للخلاف، وصدمة تعرّي عجز العقل الغربي ومشاريعه التحرّرية، فتحوّلت المحرقة برأيه إلى استعارة فلسفية لنقد أوهام الحداثة والعلمنة، فقد استخدم اللاهوت اليهودي نقديًّا ضد العَلمانية المتعالية والأساطير السياسية، وعمل على تحويل الرموز

الدينية إلى أدوات تفكيك للعقلانية الغربية، وجعل اليهودي استعارة للمهمَّش الذي يكشف زيف السرديات الكبرى.

ومن دراسة البنيوية الفرنسية عند المفكِّرين الذين ينتمون إلى أصول يهودية يمكن ملاحظة أن دورهم كان في تطبيق البنيوية في النقد الجذري للثقافة والمجتمع، وتحدّي المركزيات الغربية العقلانية الصارمة، مع أنّهم لم يستشهدوا بالتقاليد اليهودية بشكل صريح، إنّما بالتركيز على التأويل والرمز وسلطة اللغة.

الفصل الثالث:
التأثير اليهودي المعاصر في فرنسا

المبحث الأول:
الجيل الجديد من المفكرين اليهود

لم تعد فرنسا تصدّر الفكر والفلسفة كما كانت سابقًا، إنّما أصبح المجال مفتوحًا أمام من يسمّون أنفسهم (الفلاسفة الجدد) المنهمكين بمعاداة الشيوعية واليسار والتهجّم على الإسلام، باسم الدفاع عن العَلمانية المهدَّدة، والاتفاق مع إسرائيل التي يصفونها بالديمقراطية الغربية، ومن أشهرهم:

أولًا: (آلان فنكلكروت- Alain Finkielkraut)

فيلسوف يهودي فرنسي وُلد عام ١٩٤٩م حاصل على درجة الماجستير في الفلسفة، ألّف عدّة مقالات عن الأدب والحب والحداثة، وأصبح مفكّرًا مألوفًا للجمهور خلال الثمانينيات، وضيفًا

دائمًا على الإعلام مشتغلاً به، وطوّر انعكاسه الخاص على الهوية والذاكرة والاندماج من خلال المدرسة، كما تحدّث عن مسائل سياسية مثل اليهودية، والقومية، والاستعمار، والصهيونية، والهوية، ومعاداة العنصرية، يطلق على نفسه وفلاسفة فرنسيين آخرين اسم "الفلاسفة الجدد"، ويتميّز بموقفه المتطرّف من القضايا العربية والإسلام، ومنهم (برنار هنري ليفي-Bernard-Henri Lévy)، و(ألكسندر أدلر-Alexandre Adler)، وغيرهما..، فيعلن (فنكلكروت) أنّ المثقف العربي لا يمكن أن يكون ديمقراطيًا إلا إذا تخلّى عن حق العودة للشعب الفلسطيني[١].

كما يتحدّث عن أزمة الثقافة التي تعني لديه أزمة غياب المعايير التي يمكن أن يعود إليها كل البشر، بمعنى غياب قيم عالمية توحِّد الشعوب، الأمر الذي يهدد المبادئ العالمية للحياة الأخلاقية والليبرالية، وهذا ما تمخّض عنه إخفاق الفكر وانتكاسه، وهو بهذا يدافع عن حقوق الإنسان العالمية، لكنّه يناقض ذاته حين يرفض الاختلاف الثقافي، وهنا تبرز عنصريته وحقده الدفين للثقافات الأخرى[٢].

---

١ - آلان فنكلكروت.. فيلسوف يتزعم اليمين الأوروبي المتطرف، télé maroc.

٢ - كرام ياسين: «نقد مفهوم الثقافة في الفكر الما بعد حداثي عند آلان فينكلكروت»، ص١٩٦.

ولقد أصدر حتى عام ٢٠٠٢م ما يقارب ١٥ كتابًا في قضايا تاريخية وفكرية متعدّدة أساسها الشأن اليهودي. تشغله مسألة الهوية بشكل متأزم، وورث مع أبناء جيله مشكلة القناع اليهودي بوصفه مؤشّرًا على هوية متأزمة قد يلبسه بعض ويخلعه آخر، والذي زاد من أزمة جعل هذا القناع هو ما يُسمى بالمحرقة (الهولوكوست) التي يسمّيها كتاب اليهود بـ (الشواه -Shoah) ، ولقد أصدر كتابًا بعنوان (اليهودي البخيل) يطرح مسألة الهوية من خلال كونه يهوديًّا فرنسيًّا بدأ رحلته الفكرية مع أحداث فرنسا الطالبية عام ١٩٦٨م، ورأى أن اليهود الفرنسيين المعذبين هم وحدهم الذين يملكون الحق في رفع شعار الهوية اليهودية، وأن المعاناة حكر على اليهود؛ لأنّ معاناتهم من الاضطهاد لا يماثله أي اضطهاد آخر في التاريخ، ولا يحقّ لأحد لم يعِش تلك المأساة (المحرقة) أن يدّعي هوية يهودية حقّة؛ لأنّ اليهودية تعدّ هوية مقدسة برأيه، وهذا ما يؤكّد النزعة الحلولية لديه التي تجعل كلمة يهودي بديلاً لاسم الإله في الخطاب الديني التقليدي، الإله الذي يحلّ في اليهودي ليصير مقدّسًا، ويعني به الآخر الغريب المختلف عن الحضارة الغربية، الأمر الذي يطرح مسألة الهوية التي يعدّها مأزقًا؛ لذلك يضع (فنكلكروت) شرطًا ليصف إنسانًا ما نفسه يهوديًا، وهو المعاناة اليهودية، سواء أكانت من المحرقة أم من معاداة السامية، فالمحرقة برأيه قضت على أي أمل

لليهود بالاندماج، ولا سيّما حالة الشتات التي عاشها اليهود، وافتقارهم إلى مكان أو وطن ينتمون إليه، فيتكون الهوية برأي الفيلسوف هوية متخيلة، وهوية مستعصية، ومتخلّى عنها. لذلك نجده يرفض اليهودية وينقد من يدّعيها[١].

بالنسبة إلى رأيه عن الحرب الإسرائيلية على غزّة، فإنّه يبرّرها بحجّة الدفاع المشروع عن النفس، ولا ترقى بأي حال من الأحوال إلى الإبادة الجماعية أو الحرب العمياء، وحجّته أن جيش الاحتلال الإسرائيلي تقيّده ضوابط خُلُقية تميّزه عن سواه من الجيوش، وتمنعه من إراقة الدماء، ويتهم الشارع العربي بأنّه ينضح حقدًا على إسرائيل معاداةً للسامية، معترضًا على توصيف ما يحدث في غزة بالإبادة الجماعية معلّلاً ذلك بأنّه ليس إلا مسوّغًا للتعبير عن كراهية دفينة لليهود برأيه[٢].

ثانيًا: (برنارد هنري ليفي -Bernard-Henri Lévy)

هو كاتب ورجل أعمال وفيلسوف فرنسي من أصول يهودية جزائرية، ذائع الصيت في الإعلام والسياسة، ويعتبر نفسه مشمولاً بمن يقال

١ - سعد البازعي: المكوّن اليهودي، ص٧٢- ٨٠.

٢ - أنس بن صالح: «الإنتلجنسيا الغربية وتزييف الوعي -فرنسا نموذجًا»، موقع الجزيرة، ٢٤/ ٩/ ٢٠٢٤م.

لهم (الفلاسفة الجدد)، تخصّص في الكتابة عن اليهودية وعن معاداة السامية ومسألة الهوية، تكمن شهرته في دفاعه المستميت عن إسرائيل وعن تطرّفها وعدوانها، ولا سيّما في أحداث غزة الأخيرة التي انحاز فيها لحرب الإبادة الجماعية ضد الفلسطينيين، معتبراً سقوط آلاف الضحايا المدنيين أمرًا لا مفرّ منه في أي حرب؛ حيث نشر كتابًا بعنوان "عبقرية اليهودية"، يذهب فيه إلى أن اليهودية في الأساس ذات نزعة خُلُقية كونية ترتكز على الغيرية والمسؤولية تجاه الآخر، وليست ديانة بالمعنى المألوف، فيقدّم (ليفي) نفسه بأنّه "يهودي معلن" رغم تنصّله من المرجعية الدينية لليهودية، ومنه يأتي موقفه من الصهيونية التي تعدّ بنظره هي التعبير السياسي والإيديولوجي الحديث عن اليهودية، وكل رفض لها يشكّل نمطًا من العداء للسامية، فيدافع عن إسرائيل معتبراً إياها الطرف المعتدى عليه، وأن جيشها يتميز بالأخلاق العليا ولا يعتدي على السكان المدنيين، وهنا تظهر عنصرية ليفي المتطرفة[1].

وهذا ما دفعه إلى نشر كتاب بعنوان: (عزلة إسرائيل)؛ حيث عزل الرواية الإسرائيلية من سياقها التاريخي والسياسي والإنساني، موجّهًا

---

١ - السيد ولد أباه: «برنار هنري ليفي والمسألة اليهودية وإسرائيل»، موقع النهضة العربية للديمقراطية والتنمية، ١٨/ ٢/ ٢٠٢٤م.

إصبع الاتهام بكل فجاجة تهمة «معاداة السامية» لكل من يبدي تعاطفًا مع الشعب الفلسطيني[1]. وهنا، نجد كيف فَقَدَ بوصلته الخُلُقية وقَلَبَ الحقائق واستباح القيم.

ثالثًا: (سيمون فيل- Simon Weil)

(سيمون) (١٩٠٩-١٩٤٣م) فيلسوفة فرنسيّة، وُلدت لأسرة أرستقراطيّة من أبوين يهوديّين،، حصلت على الدكتوراه في الفلسفة، ودخلت معترك السياسة وشاركت في عدّة قضايا يساريّة، وشاركت العمّال حياتهم وألّفت كتاب (الحالة العماليّة عام ١٩٥١م) الذي حاولت فيه تقديم الحلول لمشكلات العمّال، والمطالبة بتغيير طبيعة العمل الحديث، وانضمّت بعد ذلك إلى القوات الجمهوريّة في إسبانيا إبان الحرب الأهليّة.

تمثّل نموذجًا من نماذج الانتماء بين مثقّفي اليهود، فعلى الرغم من أنّ والديها يهوديّان، فإنّها أنكرت انتماءها إلى اليهود، وكان موقفها موقف الرفض العميق، وترى أنَّ اليهوديّة عقيدة قوميّة ضيّقة الأفق

---

١ - سلام الكواكبي: «فرنسا من بيير بورديو إلى برنار هنري ليفي، جريدة المدن، ٢٥/ ٣/ ٢٠٢٤م.

وقاسية، وعاشت حياتها تبحث عن انتماء حاولت التعبير عنه في مؤلّفاتها، ومن كتبها التي تمزج فيها التصوّف بالفلسفة (الحاجة إلى جذور) و(في انتظار الله)، بحيث تنقّلت بفكرها من الماركسيّة إلى الفوضويّة وإلى التصوّف العميق، باحثة عن هويّة عميقة. فقد تعاطفت مع مصير اليهود في ألمانيا النازيّة، وهذا ما عرّضها للعذاب والفصل من منصبها الأكاديميّ[١].

رابعًا: (أليزابيث باديتنر- Élisabeth Badinter)

هي فيلسوفة ومؤرّخة وكاتبة فرنسية تنتمي إلى عائلة يهودية، ولدت عام (١٩٤٤م) ولا تزال على قيد الحياة، تركز على قضايا النسوية، وتاريخ المرأة، والأمومة، والنقاشات الخُلُقية في المجتمع الفرنسي، وتعدّ من أبرز المدافعات عن العلمانية والمساواة بين الجنسين في فرنسا، منتقدة النسبية الثقافية، كما دعت إلى الدفاع عن الفردانية، والدفاع عن قيم التنوير، ومن أبرز مؤلفاتها: الحب بالأحرى، وأنس الرجل، وصراع الأمهات، ومساواة غير مكتملة، وسلطة النساء، لكنها اتُّهِمَت بتعميم واقع النخبة الفرنسية (المتعلمة، والثرية) وإغفال

١ - سعد البازعي: المكوّن اليهودي، ص٨٠- ٨١.

تحديات الأمهات في الطبقات الفقيرة، كما جرى اتهامها بانتقاد ارتداء الحجاب الإسلامي في المدارس.

ومما تقدّم نجد أن الجيل الجديد من المفكرين اليهود رغم اختلاف مجالاتهم، يشترك في استلهامه للتراث اليهودي وتوظيفه في مناقشة القضايا الفلسفية والاجتماعية الحديثة، ما يجعل تأثيرهم واضحًا وكبيرًا على الساحة الفكرية الفرنسية في الجوانب الخُلُقية والسياسية والهويَّتية.

خامسًا: (ألبير ميمي-Albert Memmi)(١٩٣٠-)

هو مؤلف وعالم اجتماع فرنسي يهودي تونسي الأصل، ولِد في تونس من عائلة يهودية، وحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة باريس عام ١٩٥٠م، ثم انضم إلى المركز الوطني للبحث العلمي في باريس، كما تخصّصَ في دراسة الآثار الاجتماعية والنفسية المترتبة على الاستعمار، فوجد من خلالها تشابهًا كبيرًا بين أوضاع اليهود والشعوب المستعمَرَة في مواقفهم وأفكارهم بما يخصّ مسألة الهوية، ما جعلها القضية المحورية في أبحاثه وأغلب أعماله الروائية والفكرية، فعكست أزمته وخبرته الشخصية بين انتمائه إلى جماعة يهودية نشأت وتشكلت في ظل التشكيل الحضاري العربي الإسلامي،

وبين اكتسابه الثقافة الفرنسية الغربية للمستعمر الفرنسي الذي يسعى إلى ربط أعضاء الجماعات اليهودية في المغرب العربي بالثقافة الفرنسية بهدف عزلهم عن محيطهم العربي، وتحويلهم إلى جماعات وظيفية وسيطة تخدم مصالحه في المنطقة، ويبدو (ميمي) مدركًا تمامًا لهذه الحقيقة، فإنّه في مقالاته ودراسته مثل (صورة اليهودي ١٩٦٢م) يقدّم صورة اليهودي بوصفه شخصية تقبع في الظل، تائهة لا تعرف الاندماج التام، ولا قادرة على التخلي عن خصوصيتها، وتعيش دائمًا على هامش التاريخ سواءً العربي أم الغربي، فهي تعيش حالة من العِداء ضد التاريخ العربي رغم وجودها في المشرق العربي، وفي حالة تبعية للتاريخ الغربي رغم وجودها خارجه[1].

المبحث الثاني:
أهم مراكز البحوث المعنية بشأن الجماعات اليهودية في فرنسا

يؤثّر اليهود الفرنسيون في عملية صنع القرار الخارجي، وهم في

---

١ - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٣، ص٣٥٩- ٣٦٠.

تأثيرهم يتوخون مصلحة الكيان المؤقت الذي تجمعهم معه أواصر الدين المشترك، ويسعون إلى ذلك من خلال تأسيس عدة منظمات وجمعيات يهودية وصهيونية في فرنسا، فيمكن تمييز أنواع رئيسة منها، وهي القومية، والصهيونية، والدينية، والاجتماعية، والمضادة، والمعنية بدعم الصداقة الفرنسية الإسرائيلية.

فالتنظيمات القومية، وهي تمارس مجموعة من الأنشطة الثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية أيضًا، تهتم بحياة اليهود في فرنسا، لعلّ أهمها المجلس المركزي الإسرائيلي لفرنسا (La Consistoire Central de France = CRIF) الذي أُنشئ عام ١٩٤٥م بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وكان يُسمى المجلس المركزي الإسرائيلي ليهود فرنسا والجزائر، وهو يهتم بتدريب الحاخامات وبالتعليم الديني للشباب، وتطبيق القانون اليهودي في مسائل الأحوال الشخصية، وكان بالأساس يمثّل المعابد اليهودية الأرثوذكسية، وفيه عدة مجالس أرثوذكسية تقع في ضواحي باريس، وأغلب تلك المجالس اتّحدت في كيان واحد تحت ما يُسمّى "مجلس الجمعيات اليهودية في فرنسا (l'union des Communautés Juive de France) الذي أُنشئ عام ١٩٩٢م، ومنذ نشأته لم يقبل المجلس المركزي الإسرائيلي لفرنسا أعضاءه، كما ظهرت (حركة لوبافيتش) الحسيدية الدينية "HABAD"

التي جذبت كثيراً من اليهود السفارد المتدينين والملتزمين بالشريعة اليهودية، وانتشرت المعابد الإصلاحية والمحافظة في باريس ومارسيليا ومدن أخرى، مثل: (Le Fonds Social Juive Funifié= FSJU) الذي تأسّس عام ١٩٤٩م ويعتني بالحياة الاجتماعية والثقافية والتعليمية للجماعة اليهودية في فرنسا، كما يهتمّ بجمع التبرعات والهبات من أعضاء الجماعة، ويلعب دورًا كبيراً في استيعاب المهاجرين الجدد في فرنسا، وهو المنظمة اليهودية الرئيسة التي تقوم بتقديم الخدمات الاجتماعية والثقافية ليهود فرنسا، وخلال السنوات الأخيرة أصبحت مهمته جمع أموال الصدقات من أهم الأعمال التي يقوم بها الصندوق الاجتماعي، وتخصّص تلك الأموال لدعم اليهود المحتاجين في فرنسا (العاطلون- المعاقون- الأيتام..) وهذه الأموال لا تُخصم من الأموال التي تُجمع وترسل لإسرائيل، وفي الوقت الحاضر كثير من المنظمات الإسرائيلية تجمع الأموال مباشرة، فمثلاً الجامعات الإسرائيلية المختلفة لها منظّماتها الصديقة التي تدعمها بالمال مباشرة، كما تقوم منظمة (حداسة) بجمع الأموال، وكذلك يفعل كثير من اليوشف، مضافًا إلى الصندوق الذي يشرف عليه الحبر الأعظم في فرنسا، وفي ما يتعلّق بالمراكز الثقافية اليهودية التي أُنشَئت وازدهرت خلال سنوات السبعينات من القرن الماضي، استقلت في أعمالها عن

(FSJU)[١].

مضافًا إلى المجلس النيابي ليهود فرنسا (La Consiel Representatif des Instutions de France= CRIF) الذي يعدّ أكبر المؤسسات اليهودية في فرنسا، تأسّس عام ١٩٤٤م ويضم اليوم ٢٧ منظمة يهودية ذات إيديولوجيات ومناهج مختلفة (صهيونية- اشتراكية- ليبرالية) ومنذ عام ١٩٤٥م لعب دورًا في مكافحة معاداة السامية، وأُنشئت هذه المؤسسة أثناء الاحتلال الألماني لفرنسا، وكانت تهدف إلى تمثيل الجماعة اليهودية في حركة المقاومة ضد الاحتلال وضد الإجراءات التعسفية ضد اليهود، ويمثل المجلس النيابي ليهود فرنسا الهيكل النيابي، وكان مسؤولاً عن تسيير الأمور الدينية[٢].

مضافًا إلى التنظيمات الصهيونية، وهي التي تقوم بالترويج للفكر الصهيوني داخل المجتمع الفرنسي، وتسعى لحشد اليهود من أجل دعم الكيان المؤقت على مختلف الأصعدة والمستويات، وتتمثل أهم هذه التنظيمات في كل من الوكالة اليهودية من أجل «إسرائيل»، والأصدقاء الفرنسيين لجماعة بار - إيلان، والجمعية الفرنسية لأصدقاء جامعة

١ - محمد الوكيل: تاريخ اليهود في دول غرب أوربا، ج١، ص١٢٤- ١٢٧
٢ - محمد الوكيل: تاريخ اليهود في دول غرب أوربا، ج١، ص١٢٨

تل أبيب، وجمعية قدامى الطلبة ودارسي المدارس العليا للصداقة مع إسرائيل، والجمعية الفرنسية لأصدقاء الإلياه من الشباب، وبريث أم فرنسا، وهيشالوت فرنسا، وجمعية المعونة للمكفوفين الإسرائيليين، وكيرين كيرمت الإسرائيلية بفرنسا، ومركز أصدقاء الكيبوتزات، ولجنة العمل الصهيوني الاشتراكي، واللجنة الفرنسية لمعهد وايزمان، واتحاد الأطباء البشريين وأطباء الأسنان والصيادلة من أصدقاء الكيان المؤقت، والمنظمة الدولية للنساء الصهيونيات، وأخيراً الفرع الفرنسي لمنظمة النساء الرائدات[1].

كما يملك اليهود في فرنسا عدداً كبيراً من الصحف اليومية والأسبوعية ونصف الشهرية، ولكنّها ضعيفة التأثير كونها باللغة العبرية. لكن التأثير الأهم يأتي من التغلغل اليهودي في الصحافة الفرنسية ذاتها، عبر شراء صحف كاملة من الصحف الفرنسية الرئيسة، أو الاحتفاظ بعلاقات شخصية مع أبرز كتّابها أو وجوهها.

ومن أهم الصحف والمجلات ودور النشر اليهودية الموجودة في فرنسا: نشرة الوكالة التلفزية اليهودية (إيجنس تلجرفييك جويف: Agence Telegraphique Juive)، و(أونزر فرت Unzer wort) وهي

١- نسيب شمس: «الأخطبوط اليهودي يحيط بالفرنسي»، موقع الخنادق، ٢٤ تشرين أول - ٢٠٢٢ م.

جريدة يديشية صهيونية ذات ديباجات اشتراكية، وجريدة (ناي برس Naie Presse) وهي جريدة يديشية يسارية، وكذلك جريدة (تريبون جويف Tribune Juive) ، وجريدة (أونزر فج Unzer Weg) وهي جريدة أسبوعية يديشية يصدرها المزراحي، مضافًا إلى مجلة (لارش -l¢Arche) الشهرية ذات التوجه الصهيوني، وغيرها من مجلات ذات تأثير قوي على المجتمع والفكر الفرنسي[1].

ومركز التوثيق اليهودي المعاصر، وهو متخصص في البحوث الخاصة بفترة الإبادة في فرنسا، كما يضم مكتبة وأرشيفًا، ومقره باريس، ومركز الدراسات والبحوث عن مسألة المعاداة المعاصرة لليهود واختصاره (سيراك SERAC)، وهو مرتبط بمركز الدراسات اليهودية في لندن، ومتخصّص في دراسة أنماط اليهود في الوقت الحاضر، ومركز المعلومات والتوثيق بشأن إسرائيل والشرق الأوسط، وهو متخصص في توفير المعلومات عن إسرائيل والشرق الأوسط، كما يضم المجلس الكنسي المركزي والمجلس الكنسي لباريس والأليانس إسرائيليات يونيفرسل، ومجموعات ارشيفية، وينظّم قسم تعليم الشباب اليهودي

---

١ - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٣، ص٢١٢.

(ديس DESS) أسبوعًا للكتاب اليهودي كل عام[١].

ونرى أنّ التأثير السياسي للجماعة اليهودية في فرنسا يمثّل أحد جوانب الحياة الديمقراطية التي توظّف فيها الجماعة اليهودية الإمكانيات والظروف للدفاع عن الحقوق اليهودية في إطار السياسة العامة لفرنسا.

ولعل نسبة اليهود المشاركين في هذه المنظمات ما يقرب من ٤٠٪ من إجمالي تعداد الجماعة اليهودية، وهناك أكثر من (٤٠) صحيفة يهودية، فضلاً عن المنظمات اليهودية الشبابية التي ترتبط ثقافيًا بالمنهج الصهيوني، ورغم أن معظم اليهود الفرنسيين يرسلون أولادهم إلى المدارس العامة، فهناك مدراس يهودية، مثل: مدارس اليوم الكامل اليهودية التي تعلم الطلاب التعليم العلماني، وكانت هذه المدارس محط نقد من الفرنسيين؛ لأنهم يعتبرونها تنشر الطائفية وتسعى إلى المناصب في الدولة. مضافًا إلى وجود عدة جامعات فرنسية يوجد فيها دراسات يهودية تشمل (اليديشية- اللادينو- العبرية) و(مركز راشي – Rashi – Mercaz) الذي يضمّ الأكاديمية الدينية اليهودية، ونسبة

---

١ - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٣، ص٥٢٢- ٥٢٣.

التعليم الجامعي بين الجماعة اليهودية تفوق نسبة التعليم الجامعي بين باقي الفرنسيين، وهناك وجود ملحوظ للإعلان عن الثقافة اليهودية والدفاع عن المصالح اليهودية، من خلال المنظمات اليهودية الفرنسية في فرنسا، فهناك أسبوع مهرجان سنوي للكتاب اليهودي، وأسبوع مهرجان للقضايا اليهودية، وندوات وحلقات دورية تدار لبحث القضايا اليهودية، كما يوجد الفن المسرحي بصورة دورية ليتبنى الموضوعات اليهودية ذات الأبعاد السياسية، وتوجد البرامج اليهودية التي تبثّ إرسالها من باريس وعدة مدن فرنسية[1].

وتضم فرنسا عدة متاحف يهودية؛ فمثلاً يوجد متحف الفن اليهودي في باريس، وأغلب مقتنياته تخصّ الشعائر الدينية وقطعًا من الفن الحديث، وتضم أقسامًا مخصصة لتراث الجماعة اليهودية في فرنسا. وبالنسبة إلى التربية والتعليم عند الجماعات اليهودية في فرنسا، فيوجد مركزان ثقافيان أساسان للجماعات اليهودية في فرنسا منذ العصور الوسطى، حيث سيطر الحاخامات على المؤسسات الثقافية والتربوية، وسادت دراسة التوراة والتلمود، ولم تمثّل دراسة الفلسفة أو العلوم الطبيعية أي إغراء للدراسين، فكانت مهمة المعلم النقل وليس

١ - محمد الوكيل: تاريخ اليهود في دول غرب أوربا، ج١، ص ١٢٨.

التأمل، أما العالِم فقد وجّه جهده لتوضيح وتفسير الأجزاء الصعبة أو الغامضة من الشريعة، ويمثّل تفسير «راشي» للتوراة والتلمود هذا التيار الفكري، وكانت التربية الدينية للطفل تبدأ من خلال صلوات المعبد والاحتفالات الدينية المرتبطة بالأعياد اليهودية، ففي البداية كانت المدارس التلمودية في فرنسا مؤسّسات شخصية تتبع مؤسسيها[١].

لا شك بأنّ اليهود يتمتّعون بقدر كبير من التأثير والفاعلية، وهو أمر لا يستمد من نسبتهم العددية إلى إجمالي الفرنسيين. وقد تغلغلوا في مختلف مناحي ومؤسسات المجتمع الفرنسي بشكل كبير.

١ - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٣، ص٤٨٧

الفصل الرابع:
الجماعة اليهودية في فرنسا والتأسيس لقيام الكيان الإسرائيلي

رغم التأثير القوي للجماعة اليهودية في فرنسا في الحياة العامة الفرنسية، والوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي المميز، فإن قراءة سيناريوهات المستقبل تشير إلى خطر ذوبان واندثار تلك الجماعة من خلال الزواج المختلط وعلمانية المجتمع الفرنسي؛ حيث ينتج عن ذلك غالبًا وجود أطفال لا ينتسبون إلى الديانة اليهودية إلا وجدانيًا فقط، ما يقلّل تعداد اليهود في فرنسا، فقد واجهت الطوائف اليهودية المتديّنة، أغلبهم من طوائف السفارد المهاجرين من المغرب العربي معارضة الحكومة الفرنسية بسبب ارتدائهم للعلامات اليهودية الدينية؛ لأن ذلك -برأيهم- يتعارض مع مبدأ فصل الدين عن الدولة وعلمنة المجتمع الفرنسي، الأمر الذي دفع اليهود المتديّنين للهجرة إلى إسرائيل، كما عزّز تصاعد حزب اليمين المتشدّد الذي يرفض الوجود

الإسلامي واليهودي داخل فرنسا، وظهوره داخل السياسة الفرنسية، مخاوف الجماعة اليهودية التي تربط وجود ذلك التيار السياسي بمعاداة السامية، وتزامن ذلك مع الانتشار الملحوظ لحركة النازيين الجدد (حليقي الرأس) التي ارتكبت مجازر عدة ضد اليهود والمسلمين، الأمر الذي زاد من نسبة هجرة اليهود ولا سيما المتدينين إلى الكيان الإسرائيلي، حيث أقامت فرنسا علاقات قوية من خلال الدعم المالي والمعنوي للاستيطان اليهودي «اليوشيف» في فلسطين قبل قيام الكيان الإسرائيلي عام ١٩٤٨م ، كما دعمت فرنسا مشروع التقسيم الذي طُرح على الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م ، وأقامت فرنسا علاقات دبلوماسية كاملة مع الكيان الإسرائيلي عام ١٩٤٩م ، وخلال الخمسينيات كانت فرنسا المصدر الرئيس لتسليح الجيش الإسرائيل، كما شاركت في دعم برنامجها النووي، وبعد اعتلاء (شارل ديغول-Charles de Gaulle) الرئاسة الفرنسية لم تتغير سياسة فرنسا في الدعم اللوجستي تجاه إسرائيل، ولم تتخذ مواقف عدائية منها، وبعد تولي (نيكولا ساركوزي-Nicolas Sarkozy) الحكم ظهر انحيازه تجاه إسرائيل، وجرى تعليل ذلك بأصوله اليهودية (نسبة إلى والد أمه اليهودي)[1].

١ - محمد الوكيل: تاريخ اليهود في دول غرب أوربا، ج١، ص١٣٠.

ولا يمكن إغفال الوجود القوي والفعّال والمؤثر لرأس المال اليهودي في فرنسا، وللوجود اليهودي المؤثر في جميع الاتجاهات السياسية في فرنسا. ويعود تشجيع فرنسا لليهود على احتلال فلسطين إلى فترة حملة (نابليون بونابرت) على مصر عام ١٧٩٨م، عندما دعا اليهود للهجرة إلى فلسطين متعهدًا بمساعدتهم وتوطينهم هناك، ولكن بعد هزيمته تخلّى عن مخططه وتنازل عنه لبريطانيا، وبهذا فإن فرنسا قد سبقت دعوات بريطانيا للاستيطان في فلسطين.

فقد اهتمت الحركة البروتستانتية وخاصة في بريطانيا بالتوراة (العهد القديم)، وبفكرة أن فلسطين هي أرض الشعب المختار (المقصود اليهود)، وفي عام ١٦٢١م ظهرت فكرة البعث العالمي أو عودة اليهود لتأصيل فكرة عودة اليهود إلى فلسطين، فظهرت هذه الفكرة في كتابات عدة مشاهير من الكتّاب والمفكرين، مثل (إسحاق نيوتن-Isaac Newton) و(جان جاك روسو)، ولكن بعد الثورة الفرنسية أخذت تتغير طريقة تعامل أنظمة الحكم الأوروبي مع اليهود، فشهد القرن التاسع عشر في أوروبا الغربية والوسطى عملية تحرير اليهود وتحطيم أنظمة (الجيتو) ومعاملة اليهود باعتبارهم مواطنين كاملي الأهلية، وتأثر اليهود بهذا التغيير، ومنذ أواخر القرن الثامن عشر ظهرت حركة الاستنارة (الهسكالا)، ومن أهم منظّريها (موسى مندلسون ١٧٢٦ - ١٧٨٦م)، وهو

يهودي ألماني دعا إلى حق اليهود في الحصول على حقوقهم المدنية كاملة عن طريق الاندماج في المجتمعات التي يعيشون في وسطها، وقد ظهرت قدرة اليهود القوية في اختراق هذه المجتمعات وتحسين مكانتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وفوق ذلك تمكّن اليهود من خلال إنشائهم وسيطرتهم على المنظمات الماسونية، بحيث تضمن لها أكبر قدر من النفوذ على رجال السياسة والاقتصاد والإعلام في عدد كبير من البلدان مثل بريطانيا وفرنسا وأمريكا، فانتشرت الظاهرة القومية في أوروبا في القرن التاسع عشر، وأصبح كل مجتمع أوروبي يؤكد على قوميته الخاصة، وأسهمت فكرة القومية في فشل حركة الهسكالا (التنوير) أو الاندماج، الأمر الذي زاد قوة فكرة التجمّع في أرض محددة تجمع كل اليهود وتخلصهم من الشتات على أرض فلسطين[١].

وإذا رجعنا بأصول عودة اليهود إلى الصهيونية بفكرة «الأرض المقدّسة» الرواية التوراتية من سفر يوشع إلى سفر الملوك، وفترة الهيكل الثاني، التي تأسست على مخيال بروتستانتي أساس للأرض المقدسة في عصر يسوع، ففي الأدب الصهيوني استُبدِلَت صورة الكنيسة الأولى

١- محمد عبد الرحمن المرسي: «لئلا ننسى من تاريخ المؤامرة على فلسطين»، مركز الشرق العربي.

بصورة جماعة يهودية مستقلة من حقبتي التوراة والهيكل الثاني (قُبيل ظهور المسيحية)، فقد عكست فكرة جعل التوراة هي المصدر الوحيد للشرعية، وهي مبدأ بروتستانتي واضح، بحيث كانت المفاهيم التي عرّفت الهوية القومية اليهودية هي ذاتها المفاهيم التي عرّفت النموذج اليهودي اللاهوتي البروتستانتي، وكلمة (عودة) كانت تعني العودة إلى التوراة، أي العودة إلى العهد القديم، والتخلي عن الحاخامية المنفوية، فقد صيغت فكرة عودة اليهود إلى وطنهم في البروتستانتية الألفية، التي ترى أن عودة اليهود إلى الأرض المقدسة هي إعادة للكيانية السياسية اليهودية التي كانت لهم في تلك الأرض، ولقد رفض الفكر الصهيوني الأبعاد الكريستولوجية المسيحية في هذه الرؤيا، وكانت فكرة (العودة) الصهيونية متلازمة مع تحوّل اليهود واندماجهم في العالم الغربي، للحدّ الذي تم به وصف التراث اليهودي على أنه يتّبع فكرة الأصالة في اللاهوت المسيحي، والذي أنشأ الوعي الصهيوني به صورة اليهودي الجديد، الذي خلع عن اليهودي القديم فكرة التقاليد الحاخامية، بهذا يمكن القول إن الصهيونية استلهمت مصادر يهودية تراثية، (مخيال العودة، وجمع الشتات، وبناء الهيكل..) كانت دائمًا ما تشغل المِخيال اليهودي، وإنّ تحقق الصهيوينة في الشرق في فلسطين نجم عنه التطويع الوعي اليهودي للإطار الكولونيالي الأوروبي باعتباره جزءًا من أوروبا في

مواجهة الشرق، محاولةً تصوير الصهيونية على أنها حامل للرسالة الغربية إلى الشرق، فلم تشنّ الصهيونية حربًا ضد أوروبا إنما ضد الفلسطينيين، وكذلك فكرة الشعب المختار (في التوراة) جلبت تصورات الأمة، وأفكار تفوّق الغرب، وشرعية الاحتلال الاستعماري، إنما تعني عودة الصهيونية إلى التوراة وإلى الغرب، الأمر الذي دمج هذين الفهمين في مصطلح «الشعب المختار» ولعل أحد أوجه العودة الصهيونية هو نفي تاريخ الأرض نفسا، ونفي وطمس تاريخ فلسطين في العصر الوسيط المنفوي، لضمان استمرارية الحضور والاستيطان اليهودي، فرأوا أن الأرض نفسها (فلسطين) كانت في حالة منفى أثناء غياب اليهود عنها، وبالتالي يرون بأن عودة الأرض إنما هي عودة الأرض إلى التاريخ أي إعادتها إلى الغرب، وهنا يمكن الحديث عن عملية طمس التاريخ قام بها الصهاينة، تسعى من خلالها إلى أقلمة الذاكرة اليهودية؛ بمعنى رسم تاريخ جماعة لا تجمعها وحدة إقليمية، تسعى إلى محو تاريخ وثقافة فلسطين وأرضها، وعزل الهوية اليهودية عن الوجود الفلسطيني والمصير الفلسطيني، وإقامة دولة يهودية لم تُعتَبَرَ جزءًا من التاريخ، وإنما تم إنكارها[1].

١ - أمنون رازكركوتسكين: «المنفى، التاريخ، وقومنة الذاكرة اليهودية: تأملات في «العودة إلى التاريخ» كفكرة صهيونية»، ص٨٦- ٩٠.

ولفرنسا دور كبير في نشاط الحركة الصهيونية من خلال دعمها العصابات اليهودية، وعلى الرغم من أن المجتمع اليهودي الفرنسي من أقل المجتمعات تدفقًا نحو فلسطين إلا أن الحركة الصهيونية نشطت في فرنسا بشكل قوي سياسيًا وماديًا لمساعدة الهيئات والمؤسسات التي عملت على إقامة وطن لليهود في فلسطين وحوّلت الحركة الصهيونية الجيش اليهودي الفرنسي (الذي أُنشِئ عام ١٩٤٢م لمواجهة الألمان) ليتحول إلى دعم الصهيونية وُضِعَت في خدمة حركة الهاغانا التي تقاتل الفلسطينيين، كما تشكّلت في فرنسا منظمات شبابية متعددة لتنظيم هجرة سرية واسعة النطاق لليهود نحو فلسطين مثل «منظمة الإنقاذ السرية السداسية» وحركة الشباب الصهيوني، لكن المنظمة الأهم كانت الشبكة الفرنسية للأممية العمالية التي أسسها (مارك جاربلوم- Marc Garbely) زعيم الحركة الصهيونية في فرنسا، وكان من ضمن أعضائها وزرا سابقين. وهذه الهيئات تمكنت من الحصول على تأييد كبير للصهيونية في فرنسا شعبيًا ورسميًا، وإن أكثر عصابتين صهيونيتين (الأرغون والهاغانا) كان مقرهما الرئيس في فرنسا، الأمر الذي يؤكد تواطؤ السلطات الفرنسية الرسمية مع العصابات اليهودية. كما سمحت فرنسا لتلك العصابات بشراء الأسلحة ونقلها لتدريب الشباب اليهود للانخراط بالعصابات اليهودية، فكانت فرنسا الحليف الأول لإسرائيل

مزودةً جيشها بالأجهزة المتطورة وبطائرات الميراج ومساعدة لها على اكتساب التكنولوجيا العسكرية النووية وتشييد البنية التحتية الاسرائيلية[١].

فالسياسة الفرنسية تجاه اليهود وإسرائيل لا تتغير بتغير الأشخاص الحاكمين أو المسؤولين إنما تتغير استراتيجيات التعامل مع الصراع العربي الإسرائيلي الذي يدور حول الدعم الكامل لإسرائيل والحفاظ على كيانها.

١ - أحمد محمد فال: «وعد فرنسا لليهود الذي سبق وعد بلفور»، موقع الجزيرة ١٨/ ١٢/ ٢٠٢م.

خاتمة

مما تقدّم نجد كيف كان للفكر اليهودي تأثير واضح وكبير الأثر في الفكر الفرنسي في العصر الحديث والمعاصر، فكان لهم تأثير كبير على فلاسفة عصر التنوير، وظهر ذلك في أفكار الفلاسفة الفرنسيين التنويريين، مثل (فولتير) و(روسو)، وإن لم يكن بشكل مباشر، ولكنه ظهر بشكل غير مباشر في مواقفهم وآرائهم، سواء السياسية أم الدينية.

وكذلك ظهر تأثر الفلاسفة الوجوديين بالفكر اليهودي، ولا سيّما في أفكار المسؤولية الخُلُقية، وفكرة الغربة الوجودية، المُستقَاة من فكرة المنفى في الفكر اليهودي، مضافًا إلى أفكار القلق الوجودي والمعاناة التي اعتمدوا فيها على محاكاة معاناة اليهود في شتاتهم، وفي نظرة الآخر لهم، والتي أدّت إلى نشوء فكرة الذات والآخر، في محاولة للوصول إلى فكرة الخلاص والعدل، والمسؤولية والأخلاق والغربة، ما طوّر المفاهيم في فكر الفلاسفة الفرنسيين الوجوديين، مثل (سارتر) و(ليفيناس)، وما أنتجه من مفاهيم العدمية واللا معنى.

وكذلك نجد التأثير اليهودي في الفلسفة التفكيكية، ولاسيما في فكر (جاك دريدا) الذي تمثّل فلسفته انعكاسًا للقبالة والتصوف اليهودي، ومفاهيمه ومصطلحاته إنما هي تجسيد للفكر اليهودي، وظهر هذا جليًا في كتاباته ومصطلحاته ومواقفه من اليهود وإسرائيل.

كما كان للهولوكوست دور كبير في انتشار مفاهيم جديدة تتعلق بقضايا الذاكرة والعدالة، وحقوق الإنسان، والتي تعدّ مفاهيم مركزية في الفلسفة الفرنسية، إضافة إلى قضية دريفوس التي لعبت دورًا كبيرًا في إثارة النقاشات في قضايا معاداة السامية، وحقوق الإنسان، والتي لعبت دورًا مهمًا على صعيد الفكر السياسي الفرنسي، ومن ثم كان للفكر الفرنسي دور مخفي وكبير في نشوء الكيان الإسرائيلي ودعم الصهيونية والدفاع عن ممارسات الاستيطان الإسرائيلي الهمجية وعدم الاعتراف بحق الفلسطيني في أرضه والدفاع عنها، فجاء الجيل الجديد من المُفكِّرين الفرنسيين اليهود ليدافعوا عن قيم جديدة عن الهوية والهجرة وتحمل في ظاهرها العدالة وحقوق الإنسان، ولكنها بالباطن تخفي نزعة يهودية تدافع عن إسرائيل وممارساتها وتدعم الصهيونية بكل ما استطاعت من أفكار ووسائل، معتمدين على تهمة (معاداة السامية) لمنع أي إنسان من اتهام التصرفات الإسرائيلية، فكانوا مدافعين عن تراثهم اليهودي وساعين إلى تجديده من خلال فلسفاتهم

وأفكارهم.

وبه يتبيّن كيف كانت اليهودية قوة محركة رئيسة في تشكيل الفكر الإنساني عبر العصور، ولاسيما في الفكر الفرنسي، من خلال تأثيراتهم الواضحة في الفلسفة والأخلاق والقانون والثقافة، الأمر الذي أدى إلى تأثير الكبير في المفكرين الفرنسيين وفي التوجّه السياسي الفرنسي تجاه القضايا العالمية بما يخدم مصالحهم وأهواءهم اليهودية، وهذا ما دفعهم إلى تأسيس مراكز جديدة في فرنسا تتحكم بالاقتصاد وبالتربية والثقافة والفلسفة والسياسة وفي جميع المجالات.

ومن هنا يتبيّن أهمية بحثنا في الكشف عن هذا التأثير الخطير للفكر اليهودي على الفكر الفرنسي، في محاولة تحليله والتصدي له ولانعكاساته على الفكر العالمي.

لائحة المصادر والمراجع:

- آلان فنكلكروت.. فيلسوف يتزعم اليمين الأوروبي المتطرف، موقع على الإنترنت: télé maroc
- أنس بن صالح: الإنتلجنسيا الغربية وتزييف الوعي "فرنسا نموذجًا"، موقع الجزيرة، ٢٤/ ٩/ ٢٠٢٤م.
- سعد البازعي: المكوّن اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٧م.
- مريم بن عطا الله: التراث والتنوير في فلسفة فولتير، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ٢٠٢١م.
- مريم بن عطا الله: التراث والتنوير في فلسفة فولتير، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ٢٠٢١م.
- محمد أسامة بن عطاء الله: منهج التحليل النصي في تفسير العهد الجديد من خلال النظرية البنيوية عند رولان بارت (سفر أعمال الرسل أنموذجًا)، مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر،
- محمد أسامة بن عطاء الله: منهج التحليل النصي في تفسير العهد

الجديد من خلال النظرية البنيوية عند رولان بارت (سفر أعمال الرسل أنموذجًا)، مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، لا ت.

- جعفر هادي حسن: تاريخ اليهود القرّائين منذ ظهورهم حتى العصر الحاضر، ط٢، شركة العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٤م.
- جيلالي حلوز: سارتر والفينومينولوجيا الهوسرلية (القصدية معبر لفهم الوجود الإنساني)، مجلة الآداب للعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، ٢٠٢١م.
- جمال حمدان: اليهود أنثربولوجيًا، سلسلة دار الهلال، العدد ٥٤٢، فبراير، ١٩٩٦م.
- نزيهة حويلي: أنطولوجيا الحرية في الفكر الغربي المعاصر (سارتر نموذجًا)، رسالة ماجستير، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، ٢٠٢١م.
- مديحة دبابي: إشكالية تأثير القبالة اليهودية في تفكيكية "جاك دريدا"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، الجزائر، ج٣٥، العدد ٢، ٢٠٢١م،
- أمنون رازكركوتسكين: المنفى، التاريخ، وقومنة الذاكرة اليهودية: تأملات في "العودة إلى التاريخ" كفكرة صهيونية، مجلّة قضايا

إسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، لا ت.

- أحمد راشد ابراهيم راشد: تأثير الفلسفة الوجودية في خطاب رولان بارت النقدي "الكتابة في درجة الصفر" نموذجًا، مجلة كلية دار العلوم، ٢٠١٨.
- حمود الرحيلي: العلمانية وموقف الإسلام منها، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، عدد٥، ١٤٢٢هـ.
- رفاس روميسة: الأخلاق في الفلسفة الوجودية (سارتر أنموذجًا)، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، ٢٠١٩م.
- سلام الكواكبي: "فرنسا من بيير بورديو إلى برنار هنري ليفي"، جريدة المدن، ٢٥/ ٣/ ٢٠٢٤م.
- غيضان السيد علي: التجلِّي المقدس لوجه الآخر في فلسفة ليفيناس، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مصر، ج٨٧، العدد ١، ٢٠١٨م.
- السيد ولد أباه: "برنار هنري ليفي والمسألة اليهودية وإسرائيل"، موقع النهضة العربية للديمقراطية والتنمية، ١٨/ ٢/ ٢٠٢٤م.
- أحمد حسين عبد الجبوري: سياسة فرنسا تجاه يهود فلسطين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، دراسة وثائقية، ٢٠١٨م.
- يزه عبد الرحمن مصباح: البنيوية اللغوية عند فرديناند دي سوسير،

مجلة كلية الآداب، جامعة مصراتة، ليبيا، العدد ١٤، ديسمبر، ٢٠١٩.

- عبده كساب عبد القدوس: إشكالية التنوع الثقافي عند كلود ليفي شتراوس، مجلة كلية الآداب، القاهرة، ٢٠١٤ م.
- عبد المنعم عجب الفيا: في الجذور اللاهوتية للتفكيك، موقع سودارس الإلكتروني، ٢٠١٧م.
- أحمد عبد الحلم عطية: عبد الوهاب المسيري دراسة في سيرته المعرفية ونقده لقيم الحداثة الغربية، سلسلة نحن والغرب، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط١، ٢٠١٨م.
- سبخة عودة: سارتر والفعل التحرري، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، ٢٠١٦.
- روجيه غارودي: البنيوية: فلسفة موت الإنسان، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٧م.
- فولتير: قاموس فولتير الفلسفي، تر: يوسف نبيل، دار هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م.
- فلسفة الأنوار، تر: هنرييت عبودي، دار الطليعة للطباعة والنشر،

بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

- ف. فولغين: فلسفة الأنوار، تر: هنرييت عبودي، دارالطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.
- إبراهيم الفيضا: دريدا والتراث القبالي، مجلة إسلامية المعرفة، السنة ٢٣، العدد ٩١، شتاء ٢٠١٨م.
- خالد القاسمي: الخلفية اليهودية لاستراتيجية التفكيك الدريدية، مقالة من الإنترنت، موقع الحوار المتمدن، ٢٠١٢.
- غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢م.
- إسماعيل علي محمد: الجذور الفكرية لانحراف الشخصية اليهودية، دار الكلمة، القاهرة، ٢٠١٠م.
- محمد عبد الرحمن المرسي: لئلا ننسى من تاريخ المؤامرة على فلسطين، مقالة من الإنترنت، مركز الشرق العربي، لندن، ٢٠١١م
- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد ٣، ط١، دار الشروق، بيروت، ١٩٦٨م.
- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد ٣، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م،
- أحمد محمد فال: وعد فرنسا لليهود الذي سبق وعد بلفور، موقع

الجزيرة الإلكتروني، ١٨/ ١٢/ ٢٠٢٢م.

- نسيب شمس: الأخطبوط اليهودي يحيط بالفرنسي، موقع إلكتروني، موقع الخنادق، ٢٤ تشرين أول، ٢٠٢٢ م.
- رشيد النفينف: في نقد الغيرية أو غيرية إيمانويل ليفيناس المأزومة، مجلة تبيّن، مجلد ١٣، العدد ٤٩، ٢٠٢٤م.
- علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٦٤م.
- محمد الوكيل: تاريخ اليهود في دول غرب أوربا، المجلد الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٠م.
- كرام ياسين: نقد مفهوم الثقافة في الفكر الما بعد حداثي عند آلان فينكلكروت، جامعة سطيف٢، الجزائر، العدد ٤، حزيران ٢٠١٦م.

الفهرس

المقدمة ٥

الفَصْلُ الأَوَّلُ: الحضور اليهودي ٧

٩ | المبحث الأول: الإطار التاريخي: الجذور والنشأة

١١ | المبحث الثاني: المصادر المقدّسة للفكر اليهودي

٢٢ | المبحث الثالث: تاريخ اليهود في فرنسا

الفصل الثاني: الأثر اليهودي في الفلسفة الفرنسية ٤٣

٤٥ | المبحث الأول: في عصر التنوير في كتابات فولتير وروسو

٤٩ | المبحث الثاني: تأثير اليهودية في الفلسفة الوجودية الفرنسية: في فكر سارتر وليفيناس

٥٩ | المبحث الثالث: الموروث اليهودي في فلسفة دريدا التفكيكية

٦٩ | المبحث الرابع: تأثير اليهودية في الفلسفة البنيوية

الفهرس

الفصل الثالث: التأثير اليهودي المعاصر في فرنسا ٨١

٨٣ | المبحث الأول: الجيل الجديد من المفكرين اليهود

٩٢ | المبحث الثاني: أهم مراكز البحوث المعنية بشأن الجماعات اليهودية في فرنسا

الفصل الرابع: الجماعة اليهودية في فرنسا والتأسيس لقيام الكيان الإسرائيلي ١٠١

خاتمة ١١١

لائحة المصادر والمراجع ١١٤

مَركزُ بَراثا للدّراساتِ والبُحوثِ

مركز بحثي مستقل غير ربحي، مقره في بيروت وبغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والأكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها الحراك الاجتماعي والانساني الكبير الحاصل في العالم، وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية، ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والإجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجِدة؛ سعيًا للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدّمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

مُلخَّص الكتاب

يتتبَّع هذا الكتاب مسارًا طويلًا من التأثير اليهودي في بنية الفكر الفرنسي، من جذور اليهودية ومصادرها المقدَّسة، إلى تاريخ الجماعات اليهودية في فرنسا منذ الثورة الفرنسية ونشاطها الصهيوني المنظَّم.

ويكشف في متنه كيف تسرَّبت المقولات اليهودية إلى صميم المشاريع الفلسفية الفرنسية الكبرى: في عصر التنوير عند (فولتير) و(روسو)، وفي الوجودية عند (سارتر) و(ليفيناس)؛ حيث تحوَّلت فكرة «الآخر» و«الشعب المختار» إلى أساس خُلُقي، وفي التفكيكية عند (دريدا) الذي صدرت مفاهيمه — الأثر، والإرجاء، والتشتّت، ولا نهائية التأويل — عن خلفية قبالية مدراشية صريحة، ثمَّ في البنيوية عند (دي سوسير)، و(بارت)، و(ليفي شتراوس)، و(ليوتار) عبر مركزية اللغة، والنصّ، والبنية الرمزية.

ويمتدُّ البحث إلى الجيل الجديد من الفلاسفة — (آلان فنكلكروت)، و(برنارد هنري ليفي)، و(باديتنر)، و(ميمي) — وإلى شبكة المؤسَّسات، ومراكز البحوث، ودور النشر، والصحافة التي تصنع الرأي العام الفرنسي، منتهيًا إلى الدور الفرنسي في التأسيس للكيان الإسرائيلي ودعمه.

كتابٌ يضع الفلسفة الفرنسية الحديثة أمام مرآتها، ليُظهر أنَّ ما بدا خالص العقل والكونية، إنَّما حمل في أعماقه إرثًا لاهوتيًّا يهوديًّا، ترك أثره في الفكر والسياسة معًا.

• الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز •

مركز تراثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد